al-ʿUthmān, ʿAbd al-Karīm

عبد الكريم العثمان

Sīrat al-Ghazzālī



سيرة الغزالي

وأقوال المتقدّمين فيه

قدّم له

الدكتور أحمد فؤاد الأهواني
استاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة القاهرة

دار الفكر بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

استاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة القاهرة

حجة الاسلام ، أبو حامد الغزالي ، من أبرز الشخصيات في تاريخ الفكر الاسلامي ، — بل والعالمي — وأعظمها أثراً في حياة المسلمين العقلية والسلوكية على حد سواء . وعلى الرغم من هذه الشهرة وهذا الأثر لم يدرس من المحدثين بما يتفق مع منزلته ، والكتب التي تناولت جوانب فكره في اللغة العربية قليلة جداً بالإضافة الى تلك المكانة . ولاشك أن البحث الذي يضطلع به الآن الاستاذ عبد الكريم عثمان عن « النفس عند الغزالي » تمهيداً للحصول على إجازة الماجستير من كلية الآداب بجامعة القاهرة ، سيكون ذا أثر في الكشف عن ناحية من أهم نواحي فلسفة حجة الاسلام . والبحث في النفس هو حجر الزاوية في فلسفة الغزالي ، كما أنه المحور الذي تدور عليه كل فلسفة ، ويقتضي الخوض في جميع مؤلفات أبي حامد ، كما يتطلب النظر في سيرته ، للتعريف به من جهة ومعرفة ما كان لحياته الخاصة من أثر في نظريته النفسانية من جهة أخرى .

ومن أجل ذلك بدأ الأستاذ عبد الكريم بالبداية ، فبحث في سيرته ، ما كتبه

حجة الاسلام عن نفسه في المنقذ من الضلال ، وماكتبه المؤرخون وأصحاب الطبقات . ثم جمع مؤلفاته وأحصاها ، ماطبع منهـا ، ومازال مخطوطاً .

ولكنه لايحتاج في مقدمة بحثه عن الغزالي ، وكتابة شيء عن سيرته الى المادة الغزيرة التي ضم شتاتها ، وجمعهــا من مختلف مظانها ؛ ثم رأى أن المؤتمر الخاص بمرور تسعة قرون على ذكرى الغزالي سينعقد في دمشق هذا العام ، فوجد من المناسب أن يطبع هذه المادة مساهمة في ذكراه ، ولتكون مرجعاً لمن شاء أن يؤرخ لسيرته تأريخاً جديداً .

★ ★ ★

أقدم من أرخ للغزالي هو عبـد الغافر الفارسي ، وكان معاصراً له ، ونقل معظم المتأخرين كلامه إما بنصه ، وإما باختصار . كذلك فعل السبكي في الطبقات ، وابن عساكر في تبيين كذب المفتري . وحيث كانت رواية الفارسي على هـــذه الأهمية ، فقد أفردها مصنف هذه السيرة ، وجعلها أول وصف لحجة الاسلام . ثم رتب أقاويل القدماء عن الغزالي متسلسلاً بعد ذلك حتى بلغ الزبيدي ؛ وحذف مانقلوه عن عبـــد الغافر الفارسي ، اكتفاءً بافراد ذلك النص في أول الكتاب . وبذلك يكتمل كل ماذكره القدماء عن الغزالي فيما يختص بحياته أمام البـاحثين في هذا الجـانب .

وقد وضعنا حجة الاسلام في موقف يتحتم على كل من يريد أن ينظر في سيرته أن ينزله منزلة الاعتبار ، وذلك حين أرخ لنفسه في « المنقذ من الضلال » . حقاً إنه لايُعنى إلا يسيراً بالاشارة الى حياته الخاصة ، لأنه في المنقذ إنما يكتب السيرة الفلسفية ، وكيف تقلب في المذاهب الفلسفية المختلفـــة حتى انتهى به الأمر الى اصطناع طريق الصوفية . ولكنه مع ذلك سجل أطرافاً من أحداث الحيـاة ، وصروف الزمان ، والعلائق مع أصحاب السلطان ومع الناس ، ولو أنه لم يفصح ،

مكتفياً بالتلميح دون التصريـح . ولهذا السبب كان المفيـد ، بل من الواجب ، أن يرجع المؤرخ الحديث لحياته إلى هذه السيرة الشخصية ، ليرى مدى تطابقها مع ماذكره قدماء المؤرخين .

ولسنا بصدد الطريقة التي تكتب بها سيرته من خلال « المنقذ » ؛ ولكننا نود أن نعرض الخطوط العريضة التي يمكن في ضوئها تصوير حياة الغزالي ، بحسب روايات القدماء . وهي في نظرنا تقتضي تقسيم حيـاته إلى المراحل الآتية بحسب إقامته في مختلف العواصم :

١ — حياته في طوس :

وتقسم هـذه الحيـاة مرحلتين ، الأولى أسرته ، وهي مالانكاد نعلم عنها شيئاً ، سوى ان أباه كان فقـيراً لايملك شيئاً ، ولم يكن شيئاً مذكوراً . والمرحلة الثانية ماتلقاه الغزالي من تعليم شبيه بكافة ابناء المسلمين ، من حفظ القرآن ، وتعلم القراءة والكتـابة ، ومايتبـع ذلك من بعض النحو ، واللغة العربية ، والحساب . ثم دراسة الفقه على الراذكاني .

٢ — حياته في نيسابور :

تلمذته في هذه المدينة على إمام الحرمين الجويني ، وتفوقه في مجلسه ، ومايروى عن غيرة الجويني منه ، وهو شيء شبيه بما كان بين أرسطو واستاذه أفلاطون ، إن صحت رواية القدماء . وفي نيسابور اصطنع الغزالي بطريق الجويني مذهب الأشاعرة ، واطلع على المذاهب الكلامية ، وكذلك مذاهب الفلاسفة لما بين علم الكلام والفلسفة من صلة وثيقة .

٣ — في بغداد :

انتقل الغزالي من نيسابور الى العسكر حيث اتصل بنظام الملك ، ثم عـيـن للتدريس في المدرسة النظامية ببغداد ، وألف في هـذه الفترة كتبه في أصول الفقه .

٤ — في مكة :

ثم قطع علائقه ببغداد ، وهرب منها ، وذهب الى الحجاز حاجاً في جوار بيت الله . وهذا في الواقع بدء انصرافه عن الدنيا وإقباله على الآخرة ، وتحوله من الاشتغال بالعلوم الدنيوية الى التصوف .

٦ — في دمشق :

ودخل الى الشام ، واستقر في دمشق حيث ألف اعظم كتبه وأعظمها أثراً في الفكر الاسلامي ، نعني « إحياء علوم الدين » ، وهو اكبر كتبه في التصوف، الى درجة ان ابن عساكر نقل « كتاب العقائد » برمته عن الاحياء ، عند التأريخ له ، وقد بلغ من شهرة الإحياء ، ان كثيراً من اجزائه فصل على حدة ، واتخذ كتباً مستقلة . وهو الى ذلك فريد في تبويبه وترتيبه ، ويحوي جميع العلوم الشرعية والاجتماعية التي يحتاج اليها كل مسلم في حياته الدينية من شتى وجوهها .

٧ — العودة الى نيسابور:

ثم عاد الى خراسان ، واستقر في نيسابور مرة اخرى ، استجابة لرجاء فخر الملك . واشتغل بالتدريس وقد بلغ الذروة ، الى ان توفي سنة ٥٠٥ هجرية .

★ ★ ★

ونحن نرى أن من يريد التصدي لسيرة الغزالي على النحو الذي ذكرنا ، لابد له أن يحيط بالظروف التاريخية والاجتماعية والفكرية التي سادت العالم الاسلامي خلال القرن الخامس ، وبداية القرن السادس ، فلا نزاع ان الفيلسوف اذا كان خالقاً للمذاهب العقلية التي يهتدي بها قومه ، فانه الى جانب ذلك ، بل وقبل ذلك، من خلق البيئة العقلية نفسها ، وتعد آراؤه تعبيراً صادقاً أميناً لروح الأمة . وكانت هناك تيارات فكرية متعددة ، منها التيار العلمي الخالص كالبحث في الفلك

والرياضيات والطب والنبات والفلاحة والكيمياء؛ والتيار الفلسفي الذي بلغ أوجه، ممثلاً في فلسفة الشيخ الرئيس ، الذي أثّر أعظم الأثر في حياة المسلمين ، وسلموا بآرائه وعدوها الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . فلا غرابة ان ينهض الغزالي يرد على تلك الآراء ويبين بطلانها في كتابه « تهافت الفلاسفة » الذي يعتبر من أعظم الآثار الفلسفية التي كتبت في تاريخ الفكر ، سواء وافقت صاحبها على حججه أم لم توافقه .

وفي القرن الخامس أخذت آراء المعتزلة في الانزواء ، وحلت محلها مذاهب الأشاعرة ، التي بدأت بالأشعري ثم بالجويني ، ثم بالغزالي. وهكذا نجد ان حجة الاسلام كان أحد العمد التي قام عليها مذهب الأشاعرة ، بل انه يمثل اتجاهاً لم يكن موجوداً من قبل منذ ظهور ذلك المذهب . وقد فطن ابن خلدون الى هذا الاتجاه الجديد في المذهب الأشعري ، فقسم آراءهم قسمين بحسب الطريق الذي سار فيه كل فريق ، فطريق القدماء ينتهي عند الجويني والباقلاني ممن يعترفون بالأسباب والمسببات .وطريق المحدثين الذي فتح الغزالي بابه حين هدم الارتباط بين الاسباب والمسببات .

هذا فضلاً عن الاختلاف بين الشيعة وبين السنة ، وبين الفقهاء أنفسهم ، واشتداد ساعد المذاهب الصوفية التي نبتت في فارس ، واكتسبت ألواناً جديدة مع انتقالها الى بيئات أخرى .

وكان الغزالي إماماً صاحب مذهب في جميع النواحي ، فهو إمام في الفقه ، وصاحب اتجاه في علم الكلام ، وله موقف من الفلسفة يجعلنا نسلكه في زمرة الفلاسفة ، وشيخ من شيوخ الصوفية ولو أنه لم يكن صاحب طريقة وأتباع ومريدين. جدير إذن بمن يدرس الغزالي ان يبحث في تأثير البيئة ، أو قل البيئات

المختلفة التي عاش فيها ، على حياته الفكرية ، لمعرفة الصلة بين هذا التحول الواضح في حياته من فلسفة إلى كلام إلى فقه إلى تصوف ، وبين الظروف التاريخية التي وجد فيها .

ونرجو ان تيسر هذه السيرة التي تضم أقوال القدماء في حجة الاسلام البحث المنشود .

أحمد فؤاد الأهواني

المقدمة

كتب الشيخ مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر يصف الغزالي وتنوع معرفته فقال « أما إذا ذكر الغزالي فقد تشعبت النواحي ولم يخطر في البال رجل واحد بل خطر بالبال رجال متعددون لكل واحد قدرته وقيمته .

يخطر في البال ، الغزالي الأصولي ، الحاذق الماهر ؛ والغزالي الفقيه الحر ؛ والغزالي المتكلم ، إمام السنة وحامي حماها ؛ والغزالي الاجتماعي ، الخبير بأحوال العالم ، وخفيات الضمائر ومكنونات القلوب ؛ والغزالي الفيلسوف ، الذي ناهض الفلسفة ، وكشف عما فيها من زخرف وزيف ؛ والغزالي المربي ؛ والغزالي الصوفي الزاهد .

وإن شئت فقل إنه يخطر بالبال رجل هو دائرة معارف عصره ، رجل متعطش الى معرفة كل شيء ، نهم الى جميع فروع المعرفة ..(١) »

والحقيقة انه من النادر أن تجد في تاريخ الفكر البشري إلا قليلاً ممن يماثل الغزالي في نهمه للمعرفة ، وجلده على البحث ، ورغبته في الوصول الى الحقيقة .

وقد كان طموحه الى معرفة الحقيقة دافعاً له الى تحصيل أكثر أنواع المعارف في عصره ، ونستطيع ان نلمس هذا من سجله الحافل عن حياته العقلية ، والذي أودعه كتابه « المنقذ من الضلال » ...

فقد تناول علم الكلام دراسة وتمحيصاً وتأليفاً ، ولم يكن فيه مجرد ناقل عن

(١) محمد فريد الرفاعي - الغزالي ص ٩ ومابعدها .

الأشعري سالكاً في سبيله، بل كان يغلب رأياً على آخر ويقذف بالرأي الجديد ولو أغضب الأشاعرة .

وعمد الى الفلسفة فقتلها بحثاً وتنقيباً ، وخرج من دراستها بتآليف عـــدة ، وكتابه « مقاصد الفلاسفة » يعتبر من أحسن الكتب التي تلخص وضع الفلسفة آنذاك ، كما يُنظر الى كتابه « تهافت الفلاسفة » كحدث فكري فاصل في التاريخ الفلسفي .

ولم يكن شغفه بمعرفة مذاهب التعليمية ، أو الباطنية بأقل قوة ، خاصة وان الباطنية استشرت في زمنه وباتت تهدد العالم الاسلامي وتفرض إرهاباً أسود عليه، وحتى كادت ان ترسي قواعدها كاتجاه فكري قوي ، لذلك عمد بعد دراستها الى التأليف فيها شارحاً حقيقتها ، مهاجماً لها مبيناً خطرها .

وكان في دراساته متطلعاً دائماً الى يقين عقلي ، وهدوء نفسي وقد وجد هذا في الصوفية فكرة وسلوكاً .

ولم يكن بعد هذا كله مقصراً في الدراسات الفقهية ، فقد ألف في الأصول ، وفي الفقه الشافعي كتباً تعتبر حتى الآن من أمهات كتب هذا المذهب كالوجيز والوسيط والبسيط والخلاصة .

ومن مطالعة القوائم المتعددة التي وضعها الباحثون لكتب الغزالي نستطيع ان نعلم أي مدى من السعة والتنوع بلغه هذا الرجل في المعرفة .

فقد استطاع ان يلم بثقافة عصره كلها تقريباً :

قرأ كتب الفلاسفة ، رسائل إخوان الصفا ، ومؤلفات الفارابي (٣٣٩ هـ) وابن سينا (٤٢٨) ومسكويه (٤٢١) وأخذ عن هذين الأخيرين كثيراً من آرائها الفلسفية وخاصة من كتاب النجاة لابن سينا ، وكتاب تهذيب الأخلاق لمسكويه .

واستفاد من كتب الصوفية وخاصة من آثار أبي طالب المكي (٣٨٦) صاحب

قوت القلوب ، والقشيري (٤٦٥) صاحب الرسالة المشهورة ، والمحاسبي والجنيد وغيرهم .

ولا شك أنه استفاد من القرآن الكريم ، ومن الحديث الشريف ، وان كان ضعيف الرواية والنقل للحديث وقد عكف عليه في آخر عمره ليعوض مافاته منه .

كما أنه كان مطلعاً بصورة واسعة على الانجيل والآداب المسيحية ، لأنه كثيراً مايستشهد في كتبه والاخلاقي منها خاصة بأقوال وحوادث للسيد المسيح .

ولا بد أن نشير الى أنه كان حراً في انتفاعه من هذه الثقافات كلها ، مرناً في مقارنتها وهضمها ، وواسع الصدر في مناقشتها وعرضها .

لم يمنعه تبنيه لآراء الأشاعرة في علم الكلام من أن يخرج على بعض آرائهم — كما قلنا — وفي أن يستبعد منها « المناقشات غير المجدية ، ويبعد الفضول الدقيق ، والزهو العقلي ، ويظهر الشعور الديني ببساطة ووضوح ، وانشراح صدر ، وعطف شديد الى روح الشعب ..[1] »

كما لم يمنعه تمذهبه بالمذهب الشافعي من ان يخالف الشافعية في بعض مايقولون به ، ويسير على طريق الاجتهاد في عدد من آرائه .

وسلوكه لطريق التصوف ، والخدمة العظيمة التي قدمها للصوفية التي كانت كما يقول مكدونالد « موجودة في الاسلام قبل الغزالي إلا أنها كان يُنظر اليها كأنها شيء مخالف للشرع مزر بمقام من يتبعه ، ولكن الغزالي لما ظهر في ميدان الحياة عزز الصوفية في تعاليمه أيما تعزيز ، وطبقها على الشرع وطبق الشرع عليها وزاد في تكريمها حتى صارت الصوفية ذات المكانة العليا بين عموم المسلمين السنيين بل بين جميع الفرق الاسلامية منذ ذلك الحين[2] » .

«١» كارا رونو . الغزالي ص ١٠٣

«٢» الغواص واللآلي . زويمر ص ١٢٨

تقول ان الغزالي الصوفي في كثير من آرائه وسلوكه لم يقصر في مهاجمة الآراء الصوفية السائدة حينذاك والتي اعتقد أنها مجانبة للحق، وخاصة فكرتي الحلول والاتحاد ..

كما أنه عقد فصلاً خاصاً في كتابه « الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين » هاجم فيه الصوفية ونقدهم نقداً مراً ..

وكان يصدر في هذا كله عن فكرته عن التقليد والمقلدين فهو خصم عنيف للتقليد ولعل هذه الخصومة تبدو واضحة فيما كتبه في « فيصل التفرقة » « أما بعد فاني رأيتك أيها الأخ المشفق، والصديق المتعصب، موغر الصدر، منقسم الفكر لما قرع سمعك من طعن طائفة من الحسدة على بعض كتبنا المصنفة في أسرار معاملات الدين وزعمهم أن فيها مايخالف مذهب الاصحاب المتقدمين والمشايخ المتكلمين، وأن العدول عن مذهب الاشعري ولو في قيد شبر كفر، ومباينته ولو في شيء نزر ضلال وخسر، فهون أيها الاخ المشفق المتعصب على نفسك ... واستصغر من بالكفر أو الضلال يعرف [١] .»

ثم يتابع حديثه فيقول « نخاطب نفسك وصاحبك، وطالبه بحد الكفر فان زعم أن حد الكفر مايخالف مذهب الاشعري، أو مذهب المعتزلي، أو مذهب الحنبلي أوغيرهم، فاعلم أنه غر بليد، قد قيده التقليد [٢] ..»

ولعل من المفيد أن نتابع الغزالي في هذه الساحة الفكرية فنقرأ حد الكفر والايمان عنده، « الكفر هو تكذيب الرسول عليه السلام في شيء مما جاء به، والايمان تصديقه في جميع ماجاء به .. [٣] »

«١» فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة - الغزالي - الطبعة الاولى ص ٦ - ٨

«٢» الفيصل ص ١١ «٣» المرجع السابق ص ١٩

ويبين العلة في هذه السعة الفكرية في تعريف الايمان والكفر فيقول « وهذا لأن الكفر حكم شرعي كالرق والحرية مثلاً، إذ معناه اباحة الدم، والحكم بالخلود بالنار، ومدركه شرعي فيدرك إما بنص وإما بقياس على منصوص .. [١] »

فالحقيقة هي من وراء الغزالي دائماً

واسمع الى حديثه في المنقذ شارحاً شجاعته في هجومه على مناهل المعرفة بغض النظر عن ألوانها وأشكالها « ولم أزل في عنفوان شبابي، منذ داهمت البلوغ الى الآن وقد أناف السن على الخمسين أقتحم لجة هذا البحر العميق، وأخوض غمراته خوض الجسور، لا خوض الجبان الحزور، وأتوغل في كل مظلمة وأتهجم على كل مشكلة وأتقحم كل ورطة وأتقمص عن عقيدة كل فرقة وأستكشف أسرار كل طائفة لأميز بين محق ومبطل ومفتن ومبتدع [٢] »

★ ★ ★

لا عجب والغزالي على هذا الشكل من الورود على مناهل المعرفة، والهجوم على مايعتقد أنها تستحق النقد، والوقوف بجانب مايعتقد أنه الحق من أن يكون محور دراسات كثيرة وممتعة بين الاقدمين والمحدثين والمعاصرين، ولا عجب أيضاً أن تختلف آراء الناس فيه اختلافاً كبيراً .. ولا غرو أن نجد اذاً من يمدحه حتى تحسب أنه مغال في هذا المدح وأن تسمع ألقاب « حجة الاسلام » « زين الدين » وغيرها، وأن نجد في نفس الوقت من يجعله مسئولاً عن تدهور الفطرة الاسلامية، في نفوس المسلمين، ولكن المعرفة لا تعدم منصفين يسلكون السبل، وينوعون الحيل للوصول الى الحقيقة الصحيحة .

★ ★ ★

وسيعقد بعد أيام مؤتمر عن « الغزالي » يشرف عليه المجلس الاعلى للآداب

«١» المرجع السابق ص ٢٩ «٢» المنقذ ص ٦٥

والفنون دعا اليه المهتمين بالدراسات الاسلامية الفلسفي منها والفقهي من شتى أنحاء العالم .. ولأنني أعد بحثاً عن الغزالي فقد رأيت أن يكون لي نصيب ولو بسيط في الاسهام في التعريف بهذه الشخصية الفذة ، ووجدت أنه قد يكون من المفيد أن أقدم بين يدي هذا المؤتمر مجموعة من أبحاث رجال التاريخ والطبقات والسير ، التي تتناول حياته ، وعصره وما الى غير ذلك ...

وقد راعيت أن يكون بين هؤلاء ، المعاصر كعبد الغافر الفارسي ، والمتأخر قليلاً كابن عساكر ، وهكذا حتى القرن الثالث عشر الهجري .

وقد جمعت هذه الابحاث من عدد من الكتب المخطوطة ، والمطبوعة ، والمطبوع منها أغلبه — ان لم نقل كله — نادر مفقود .

وما أظن أن هذه المقالات غادرت شيئاً كثيراً من حياة هذا الرجل الشخصية والعقلية ...

وفي اعتقادي أن نشر هذه الابحاث من الضرورة بمكان ، لأنه يجعل أهم المراجع التي لا بد من العودة اليها للتأريخ للغزالي متيسرة بين أيدي الباحثين .. وقد ضمنتها أوسع دراسة قديمة عن حياة الغزالي وبيئته ومؤلفاته وتلاميذه وآراء العلماء فيه بقلم السيد المرتضى الزبيدي ، شارح الاحياء المشهور كتبها مقدماً بها لشرحه الكبير .

★ ★ ★

وكنت أود ان يكون عملي مقتصراً على تقديم هذه الابحاث خالية من أي مقدمة مكتفياً بوضعها بين أيدي الباحثين تاركاً لهم مهمة دراستها واستخلاص ما يرونه فيها.

غير أنني وجدت الواجب يحتم علي أن أشير الى بعض الملاحظات حول حياة الغزالي وأسباب خروجه من بغداد وهل سافر الى مصر ، ولم أقصد من سرد هذه الملاحظات كتابة سيرة جديدة للغزالي .

١ — حياة الغزالي :

نستطيع ان نلخص حياة الغزالي بالمراحل التالية :

سنة	٤٥٠ هـ	ولادته بطوس
حوالي	٤٦٥	دراسته على الشيخ احمد الراذكاني ، وذهابه الى جرجان ودراسته على الشيخ الاسماعيلي(١) .
حوالي	٤٧٠	عودته الى طوس حيث بقي فيها ثلاث سنوات .
حوالي سنة	٤٧٣	ذهابه الى نيسابور ودراسته على أبي المعالي الجويني والفارمدي .
حوالي سنة	٤٧٨	أي بعد وفاة الجويني ، ذهابه الى العسكر قاصداً نظام الملك .
جمادى (١)	٤٨٤	إرساله مدرساً الى بغداد .
من ٤٨٤ إلى	٤٨٨	فترة تدريسه في بغداد ، حيث أصبح فيها من الرجال المشهورين
حوالي	٤٨٨	ترك التدريس ، وخروجه من بغداد مدعياً الحج . مسافراً الى الشام
من	٤٨٨ـ٤٩٠	متنقلاً بين دمشق والقدس ومكة والمدينة
سنة	٤٩٠	عودته الى بغداد ، وبقاؤه فيها مدة يسيرة مدرساً الاحياء في رباط أبي سعد .. ثم سفره الى همدان .
حوالي	٤٩٣	عودته الى طوس حيث بقي فيها طويلاً .
ذي القعدة	٤٩٩	التدريس في نظامية نيسابور
سنة	٥٠٣	تركه التدريس وعودته الى طوس .

الاثنين ١٤ جمادى الآخرة سنة ٥٠٥ وفاته في مسقط رأسه « طوس » .

★ ★ ★

(١) يشير جبر في مقاله في الـ mideo الى أن الشيخ المقصود قد لا يكون أبا النصر لانه توفي سنة ٤٢٧ بل الشيخ اسماعيل بن سعده الاسماعيلي المتوفى سنة ٤٨٧ .

٢ – أسباب خروج الغزالي من بغداد :

يلقي بعض المورخين ورجال الطبقات ظلالاً كثيفة على حادثة خروج الغزالي من بغداد ، فبعضهم يكتفي بالسبب الذي ذكره الغزالي عن نفسه في كتابه « المنقذ من الضلال » حيث يقول :

« ثم لاحظت أحوالي فاذا أنا منغمس في العلائق، وقد أحدقت بي من كل الجوانب، ولاحظت أعمالي وأحسنها التدريس والتعليم فاذا أنا مقبل على علوم غير مهمة ، ولا نافعة في طريق الآخرة . ثم تفكرت في نيتي في التدريس فاذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى بل باعثها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت .. فلم أزل أتفكر في الأمر مدة وأنا بعد على مقام الاختيار أصمم العزم على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الاحوال يوماً ، وأحل العزم يوماً ، وأقدم فيه رجلاً وأؤخر فيه أخرى ، لاتصدق لي رغبة في طلب الآخرة بكرة، إلا ويحمل عليها جند الشهوة فيفترسها عشية ، فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسلاسلها الى المقام ، ومنادي الايمان ينادي الرحيل الرحيل ، فلم يبق من العمر إلا القليل ، وبين يديك العمر الطويل ، وجميع ما أنت فيه من العلم والعمل رياء وتخييل، فان لم تستعد الآن للآخرة فمتى تستعد ، وإن لم تقطع الآن هذه العلائق فمتى تقطع ، فعند ذلك تنبعث الداعية ، وينجزم العزم على الهرب والفرار ، ثم يعود الشيطان ويقول : هذه حال عارضة إياك ان تطاوعها فانها سريعة الزوال فان أنت أذعنت لها وتركت هذا الجاه العريض والشأن المنظوم الخالي عن التكدير والتنغيص ، والأمن المسلم الصافي عن منازعة الخصوم ، ربما التفتت اليه نفسك ولا تتيسر لك المعاودة .

فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة ، قريباً من ستة أشهر أولها رجب سنة ثمان وثمانين واربعمائة ، وفي هذا الشهر جاوز الامر حد الاختيار الى الاضطرار إذ أقفل الله على لساني ، حتى اعتقل عن التدريس فكنت

أجاهد نفسي ان أدرس يوماً واحداً تطبيباً لقلوب المختلفة إلي ، فكان لا ينطق لساني بكلمة واحدة ولا أستطيعها البتة ، حتى أورثت هذه العقدة في اللسان حزناً في القلب ، بطلت معه قوة الهضم ومراءة الطعام والشراب ، فكان لا ينساغ لي ثريد ، ولا تنهضم لي لقمة ، وتعدى الى ضعف القوى ، حتى قطع الاطباء طمعهم في العلاج وقالوا هذا أمر نزل بالقلب ومنه سرى الى المزاج فلا سبيل اليه بالعلاج.

ثم لما احسست بعجزي وسقط بالكلية اختياري التجأت الى الله التجاء المضطر الذي لاحيلة له ، فأجابني الذي يجيب المضطر إذا دعاه ، وسهل على قلبي الاعراض عن الجاه والمال والأولاد والأصحاب ، وأظهرت عزم الخروج الى مكة وأنا أريد في نفسي سفر الشام . حذار ان يطلع الخليفة وجملة الاصحاب على عزمي في المقام بالشام فتلطفت بلطائف الحيل في الخروج من بغداد على عزم على ألا أعاودها أبداً، واستهدفت لأئمة العراق كافة إذ لم يكن فيهم من يجوّز أن يكون الاعراض عما كنت فيه سبباً دينياً ، اذ ظنوا أن ذلك هو المنصب الأعلى في الدين ، وكان ذلك مبلغهم من العلم ، ثم ارتبك الناس في الاستنباطات ، وظن من بعُد عن العراق أن ذلك كان لاستشعار من جهة الولاة ، وأما من قَرُب من الولاة ، وكان يشاهد إلحاحهم في التعلق بي والانكباب علي ، وإعراضي عنهم ، وعن الالتفات الى قولهم ،فيقولون هذا أمر سماوي ، ليس له سبب إلا عين أصابت الاسلام وزمرة العلم ، ففارقت بغداد[1] »

أما كارا دوفو فيرى أن الغزالي لم يكن بحاجة الى هذا التسلسل المسرحي الذي ذكره حتى يصل الى تقرير ما يريد من ان طريق التصوف هو السبيل الوحيد الوصول إلى المعرفة وبالتالي فان الرغبة في السلوك مع الصوفية لا ينظر اليها في ذلك الحين بالذات كدافع أساسي لخروجه من بغداد ، فالغزالي صوفي أصلاً ، أبوه صوفي ، والذي عني به صوفي والذين أحاطوا به في صباه وأثناء شبابه واكتماله أناس أتقياء[2].

(١) المنقذ ص ١٢٦ ومابعدها

(٢) الغزالي. كارا دوفو ص ٤٨ – ٤٩

كما نجد فريد جبر يشك في ان يكون خروج الغزالي من بغداد مباغتاً مفاجئاً كما يصور ذلك السبكي .. ويلفت النظر إلى الحوادث السياسية التي لم يعلق عليها السبكي بكلمة ويرى ان لهذه الحوادث أثرها في الخروج من بغداد[١] .

فقد سقط نظام الملك في رمضان سنة ٤٨٥ في بغداد بيد أحد الباطنيين ،ولا يبعد أن يكون للسلطان يد في اغتياله ، وكانت العلاقة قوية بين نظام الملك والخليفة وكان الباطنية يهددون مخالفيهم في ذلك الحين ، والغزالي خصم لدود ، ثم ان عبد الغافر يذكر انه قد فتح على الغزالي باب من الخوف صرفه عن التدريس والحياة العامة، وليس من المستغرب أن يكون هذا الخوف الشديد من جراء الأزمات السياسية الخانقة في ذلك العهد .

ويشك الدكتور البقري لعدد من الاسباب في جدية عزلة الغزالي الصوفية ، وكونها سبباً في خروجه من بغداد[٢] .

أما ماكدونالد فيرى ان الخروج من بغداد سببه سياسي ، أو أنه كان لاستشعاره الخوف وخشية الأذى فقد كان الموقف السياسي يومئذ خطراً وكانت الأحوال مضطربة لا تبعث على الاطمئنان عقب وفاة نظام الملك[٣] .

ولا يغفل ابن خلدون أن يشير إلى علاقة الغزالي بيوسف بن تاشفين ، ورضاه عن اللقب الذي لقب به وهو أمير المؤمنين وما قد يكون لذلك من أثر في إثارة حفيظة أصحاب السلطة في بغداد[٤] .

والحق أن الغزالي لم يكن بعيداً عن الحياة السياسية :

(١) M . I . DE.O مقال له عن حياة الغزالي ومؤلفاته .
(٢) عبد الدائم البقري ــ اعترافات الغزالي ص ١٢٣ وما بعدها .
(٣) مقال The life of Al Ghazali
(٤) ابن خلدون :العبر ص ٣ ج ١١٩

فقد كان أحد المشهورين الذين يشار اليهم بالبنان في بغداد ، وكان للفقهاء وكبار العلماء منزلة في نفوس الناس وعند الحكام ، خاصة وأن السلجوقيين الحاكمين حينذاك كانوا يدعمون الاتجاه السني أمام العقيدة الفاطمية . وكان اعتمادهم في ذلك على فقهاء وعلماء أهل السنة ، وكان لأساتذة المدرسة النظامية بالذات شأن كبير، ولعلنا نستدل على ذلك مما تذكره الكتب التاريخية عن تدخلهم لحل الخلافات بين الامراء ، وعن رجوع الحكام اليهم في كثير من الأمور ، فقد ذكر ابن خلدون مثلاً كيف كان الخلاف مستحكماً بين السلطان محمد (أبو شجاع) وابن اخيه ملكشاه ، وكيف تدخل الفقهاء بالصلح بينهما . قال ابن خلدون « وحضر من الغد القاضي والنقيبان واستحلف الكيا الهراسي مدرس النظامية بحضر القاضي وزير أباز بمحضرهم لملكشاه ولأباز وللأمراء الذين معه، فقال أما ملكشاه فهو ابني وأما أباز والامراء فأحلف لهم ألا ينال أبن انوش ، وساروا واستحلفه الكيا الهراسي[١] » .

وقد شارك الغزالي بالذات ببعض الامور السياسية فقد كلفه المستظهر بالله الخليفة العباسي بتأليف كتاب يفند فيه آراء الباطنية وقد فعل ، وسماه المستظهري .

كما أن ابن خلدون يذكر أنه حين توفي السطان (جلال الدين ابو الفتح) سنة ٤٨٥ كتمت زوجته الأمر وأرادت ان يولي الخليفة ابنها محمود ، وعمره آنذاك أربع سنين « فأجابها على شرط ان يكون أحد من أمراء أبيه هو القائم بتدبير الملك وأن يصدر عن رأي الوزير تاج الملك ويكون له ترتيب العمل وجباية الاموال فأبت عليه أولاً من قبول هذا الشرط حتى جاءها الامام أبو حامد الغزالي وأخبرها أن الشرع لا يجيز تصرفاته فأذعنت لذلك[٢] »

كل هذه الامور تجعل المجال واسعاً لتفسير عبارة الغزالي بأنه فتح عليه باب

(١) ابن خلدون :العبر ج ٣ ص ٤٩٣
(٢) المرجع السابق ص ٤٧٨

من الخوف شديد [1] بأنه الخوف أن يصبه رذاذ المؤامرات السياسية المستحكمة ، كما تجعل البعض يحاول تفسير سبب اختيار الغزالي دمشق على غيرها بأنها أبعد البلاد الاسلامية حينذاك عن سلطة الباطنيين [2] .

٣ ــ هل بقي الغزالي طيلة مدة العزلة في الشام :

اختلف المؤرخون ورجال الطبقات في تحديد المدة التي بقي فيها الغزالي في بلاد الشام فبعضهم يؤيد ما يقوله الغزالي في المنقذ من أنه بقي فيها سنتين فقط « ثم دخلت الشام وأقمت بها قريباً من سنتين ، لاشغل لي إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالاً بتزكية النفس ، وتهذيب الاخلاق ، وتصفية القلب لذكر الله تعالى ، كما كنت حصلته من علم الصوفية ، فكنت أعتكف مدة في مسجد دمشق أصعد منارة المسجد طول النهار وأغلق بابها على نفسي ، ثم دخلت منها الى بيت المقدس أدخل كل يوم الصخرة وأقفل بابها على نفسي .

ثم تحركت فيّ داعية فريضة الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة وزيارة رسول الله ﷺ بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه ، فسرت الى الحجاز .

ثم جذبتني الهمم ودعوات الاطفال الى الوطن ، فعاودته بعد ان كنت أبعد الخلق عن الرجوع اليه ، فآثرت العزلة به أيضاً ، حرصاً على الخلوة وتصفية القلب للذكر ، وكانت حوادث الزمان ومهمات العيال وضرورات المعاش تغير وجه المراد وتشوش صفوة الخلوة ، وكان لايصفو لي الحال إلا في أوقات متفرقة ، لكنني مع ذلك لا أقطع طمعي منها فتدفعني عنها العوائق وأعود اليها ، ودمت على ذلك مقدار عشر سنين [3] »

(١) السبكي ج ٤ ص ١٠٩

(٢) جبر نفس المرجع السابق .

(٣) المنقذ ص ١٢٩

ومن الذين نحوا نحو هذا الاتجاه ابن الجوزي في المنتظم إذ يقول « وفي ذي القعدة خرج ابو حامد الغزالي من بغداد متوجهاً الى بيت المقدس تاركاً للتدريس في النظامية زاهداً في ذلك ، لابساً خشن الثياب بعد ناعمها ، وناب عنه أخوه في التدريس ، وعاد في السنة الثالثة من خروجه وقد صنف كتاب الاحياء فكان يجتمع اليه الخلق الكثير كل يوم في الرباط فيسمعونه منه [1] » .

كذلك فعل ابو الفداء وابن العماد .

يقول ابو الفداء في حوادث سنة ٤٨٨ « وفيها سار ابو حامد الغزالي الى الشام وترك التدريس في النظامية لأخيه نيابة عنه ، وتزهد ولبس الخشن ، وزار القدس وحج ثم عاد الى بغداد ، وسار الى خراسان [2] » .

أما ابن العماد فيذكر في الشذرات في حوادث سنة ٤٨٨ أيضاً « وفيها قدم الامام الغزالي دمشق متزهداً وصنف الإحياء وأسمعه بدمشق وأقام فيها سنتين ثم حج وردالى وطنه » [3] .

ويحدث القاضي ابن العربي أنه لقي الغزالي في بغداد ، وفي رباط أبي سعد بالذات في جمادى الأخرى ، سنة ٤٩٠ هـ « ورد علينا (أي الغزالي) فنزل برباط أبي سعد بإزاء المدرسة النظامية ، معرضاً عن الدنيا ، مقبلاً على الله تعالى فمشينا اليه وعرضنا انفسنا عليه ، وقلت له أنت ضالتنا التي كنا ننشد وإمامنا الذي به نسترشد فلقينا لقاء المعرفة وشاهدنا منه ما كان فوق الصفة » [4] .

ولكن بعض رجال الطبقات يرون انه كان مدة العزلة كلها في بلاد الشام بين

(١) المنتظم حوادث ٤٨٨

(٢) تاريخ أبي الفداء ج ٢ ص ٢٠٨

(٣) شذرات الذهب ج ٣ حوادث سنة ٤٨٨

(٤) المقري نفح الطيب ج ١ ص ٣٤٣

دمشق والقدس . ذهب منها مرة الى الحج . أي أن الغزالي أمضى عشرة سنين في الشام .

وممن نحا هذا النحو عبد الغافر ، وابن عساكر ، والسبكي .

والذي يخيل الي انه لم يبق في دمشق إلا سنتين عاد بعدها الى بغداد فمكث فيها قليلا ثم اعتزل في خراسان (١) فترة طويلة قطعها بالعودة الى التدريس في نيسابور ثم عاد الى عزلته في بلده طوس (٢) .

ومما يقوي هذا الرأي في نظرنا بالاضافة الى ماذكرناه ان الصليبيين استولوا على بيت المقدس عام ٤٩١ هـ . وذلك بعد ان ملكوا انطاكية وقتلوا ملك معرة النعمان وتوالى استيلاؤهم على بلاد الشام واحدة بعد الأخرى ومع ذلك لا نسمع للصليبيين ذكراً في كتابات الغزالي ، ولا تحريضاً منه للمسلمين على الجهاد والدفاع عن الدين والبلاد ، ولا نظنه لو كان في الشام آنذاك يغفل عن مثل هذا الواجب . وقد سبق له ان شارك في تبيان خطر الباطنية ووقف امامهم وهم في قوتهم وعظمتهم (٣) .

٤ — ذهابه الى مصر:

يذكر بعض المؤرخين ورجال الطبقات ان الغزالي اثناء تجواله في بلاد الشام قصد مصر فدخل الاسكندرية وأقام فيها مدة وكان يريد على ماذكروا السفر الى يوسف بن تاشفين في المغرب الأقصى ، ولكنه علم انه مات فرجع .

قال ياقوت في معجم البلدان في معرض حديثه عن الغزالي « ويقال انه اقام بمنارة الاسكندرية (٤) »

(١) الكامل لابن الاثير ج ١ ص ٨٧ .

(٢) Bouyge : ess ai de chronologie p. 3

(٣) يرى كثير من الكتاب في موقف السكوت الذي سلكه الغزالي من الصليبيين شيئاً من الضعف والتهاون .

(٤) معجم البلدان طبعة لايبزيغ مجلد ٣ ص ٥٦١

أما أبو الفداء فقال «وقصد دمشق واقام بها مدة ثم انتقل الى القدس واجتهد في العبادة . ثم قصد مصر واقام بالاسكندرية مدة ...(١) »

وذكر السبكي ان الغزالي بعد مفارقته دمشق أخذ يجول في البلاد وقصد مصر ثم الاسكندرية فأقام بها مدة ، ويقال أنه عزم على المضي الى السلطان يوسف بن تاشفين لما بلغه من عدله » (٢)

غير اننا نميل الى تغليب الظن بأنه لم يسافر الى مصر متابعين بذلك ابن الأثير وابن كثير ، والغزالي نفسه الذي لم يذكر شيئاً في كتبه كلها عن هذه الرحلة.

٥ — الحياة السياسية في عصر الغزالي :

وقد كان الغزالي يعمل في جو سياسي مضطرب، « وكانت الخلافة العباسية في غاية التدني والانحطاط : السلطان العربي في بغداد انقرض أو كاد ينقرض ، إسبانيا ثائرة ضد حكامها المسلمين ، بطرس الناسك يحرض الناس على الحروب الصليبية ، انقسام الناس الى شيعة وسنة على أسس دينية وسياسية ، الأشعرية والفلسفة المدرسية في الاسلام بمساندة السلجوقيين تناهض المعتزلة» (٣).

وقد كان نظام الحكم في بغداد معقداً مربكاً ، كان هنالك الخليفة الذي لايملك من الحكم إلا الخطبة باسمه على المنابر ، والي جانبه السلطان السلجوقي الذي يسيطر على الجيش والسياسة .

وكان مناصرو الغزالي من الخلفاء ، المقتدي بالله (٤٨٧) ، ثم المستظهر بالله (٥١٢) ... ومعاصروه من السلاطين عضد الدولة ابن أرسلان (٤٦٥) ، جلال

(١) تاريخ ابي الفداء ج ٢ ص ٢٢٦ .

(٢) السبكي ج ٤ ص ١٠٥ .

(٣) التصوف الاسلامي العربي ، عبد اللطيف الطيباري ص ٤٣

الدين ملكشاه (٤٨٥)، ناصر الدين محمود (٤٨٧) ، ركن الدين أبو المظفر بركياروق (٤٩٨) ركن الدين ملكشاه الثاني (٤٩٨) ، محمد بن ملكشاه (٥١١) وكان الى جانب السلطان وزيره الذي كان غالباً مايمسك بزمام السلطة .

ونظام الملك أحد هؤلاء الوزراء الاقوياء فقد استطاع أن يسيطر على الدولة حوالي ربع قرن ، وكان لهذا الوزير أثره الكبير في الحياة الثقافية ، إذ هو الذي أسس المدارس النظامية المشهورة . وقد كان معاصراً بل زميلاً في الدراسة للغزالي .

كما أن الوزير فخر الدولة بن نظام الملك هو الذي ألح على الغزالي في العودة الى التدريس في نظامية نيسابور .

أما في باقي الولايات الاسلامية .. فقد كان بالمغرب الاقصى دولة الملثمين والقائم بأمرهم يوسف بن تاشفين وابنه من بعده .

وفي افريقية كان يحكم آل زيري وأشهرهم تميم بن العز بن باديس، ثم يحيى بن غنيم .

وكان الحكم في مصر فاطمياً وأشهر من عاصر الغزالي من خلفائهم المستعلي بالله ابو القاسم احمد بن المستنصر ، ثم الآمر بأحكام الله علي المنصور بن المستعلي[1] » .

وقد شهد الغزالي أو سمع بالداهية التي أصابت العالم الاسلامي في السنين الاخيرة من حياته ، وذلك حين بدأت جحافل الصليبيين تغزو البلاد ، وتؤسس فيها الممالك والدول ، فقد أسسوا أمارة الرها بوادي الفرات عام ٤٩٠ هـ ، ثم في انطاكية عام ٤٩١ ، وفتحوا بيت المقدس عام ٤٩٢ وطرابلس سنة ٤٩٥ وهكذا[2].

(١) تاريخ الامم الاسلامية للخضري ج ٢ ص ٥٧٦ ومابعدها
(٢) تاريخ ابن العميد ص ٢٩٢

ولكنه مع ذلك لم يحرك ساكناً ضدهم ، ولم يجر ذكرهم في أي كتاب من كتبه الكثيرة وقد هاجمه زكي المبارك لهذا الموقف[1] . والتمس له فريد جبر العذر إذ أنه كان في خراسان بعيداً عن المعركة ، في عزلته وخلوته ، ولعله لو كان في الشام اتخذ موقفاً مخالفاً ، ثم إن البلاد الاسلامية كانت كلها حينذاك غارقة في الفتن والمؤامرات ، والمعارك على السلطة بين الامراء لم تكن تنقطع وفي كل هذا شغل للمسلمين في قطر عن أحوال المسلمين في الاقطار الاخرى[2].

٦ — الباطنية[3] :

وكان خطر الباطنية بازدياد ووصلت خطورتهم الى درجة كبيرة حتى انهم قتلوا نظام الملك سنة ٤٨٥ هـ . وابنه فخر الدولة سنة ٥٠٠ ، والأعز وزير السلطان بركيارون سنة ٤٩٥ ...

وفرضوا نوعاً من الارهاب على المناطق الشرقية من العالم الاسلامي .

وكان الفاطميون من وراء الحركة الباطنية، وقد استغلت فرصة الفوضى السياسية وعدم وجود أصحاب عيون وأخبار في البلاد فعاثت فيها فساداً .

وكان الرئيس الثاني للباطنية الحسن بن الصباح ، الذي رحل الى مصر، ولقي فيها الخليفة المستنصر واستولى بعد عودته على قلعة « الموت » وقد أرسل اليه نظام الملك من حاصره فلما ضاق عليه الحصار ارسل الى النظام من قتله .. وقد استولوا بعد قتله على قلعة أصبهان .

وكان الباطنية شجعاناً ، يمنون اتباعهم بالاعاجيب ، انقسم الناس بالنسبة لهم

(١) الاخلاق عند الغزالي ص ١٥
(٢) جبر المقال السابق .
(٣) ملخص عن كتاب تاريخ الامم الاسلامية ج ٢ ص ٦٥ وما بعدها

فرقتان فمنهم من جاهرهم بالعداوة والمقارعة ، ومنهم من عاهـدهم على المسالمة والموادعة . فمن عاداهم خاف من فتكهم ومن سالمهم نسبه الناس الى الارتكاس في عقيدتهم ، وكان الناس منهم على خطر عظيم من الجهتين .

وزاد أمرهم استفحالاً ، فصاروا يهددون من لا يوافقهم بالقتل ، فصار يخافهم من يخالفهم حتى لم يجسر أحد من مخالفيهم ولو كان أميراً من الخروج من منزله حاسراً ، بل كان يلبس تحت ثيابه درعاً ، واستأذن السلطان بركياروق خواصُّه في الدخول عليه بسلاحهم ، وعرفوه خوفهم من الباطنية وأشاروا على أن يفتك بهم قبل أن يعجز عن تلافي أمرهم .. وهكذا حاول بركياروق أن يطهر الصفوف الداخلية منهم فأوقـع بهم وذهب بعض الابرياء ، وكاد يذهب الكيا الهراسي رفيق الغزالي في التدريس في النظاميـة والتلمذة على الجويني لولا أن استخلصه الخليفة المستظهر .

ثم أصبحوا يتعرضون لقوافل الحجاج حينما شغل عنهم الطلب بسبب خلاف السلطانين محمد وبركياروق ولما صفا الأمر لمحمد خرج الى حربهم وحاصرهم في أصبهان وقضى على ابن عكاش أحد رؤسائهم وأرسل من يقضي على حسن بن الصباح في قلعة الموت ولكنه توفي قبل ذلك ورجع الجند عنهم [1].

وكان للغزالي مع الباطنية جولات فكرية في أكثر من واحد من كتبه وألف ضدهم خاصة كتاب المستظهري بتكليف من المستظهر بالله ، ألح فيه على هدم فكرة الامام المعصوم الذي كان يؤمن بها أولئك ، فالامور الدينية عندهم لا تؤخذ في ثوبها اليقيني إلا عن الامام المعصوم الذي يتلقاها عن الله مباشرة.

(١) وقد مات ابن الصباح سنة «٥٢٨»

٧ — الحياة الثقافية في عصره وثقافته الشخصية :

وكان العالم الاسلامي أيام الغزالي يخضع لمؤثرات ثقافية مختلفة .

فبالاضافة الى العنصر الاسلامي الاصيل الذي يتمثل بالقرآن والحديث وآراء الصحابة والفقهاء كانت هنالك تيارات ثقافية مختلفة تخلع رداءها على تفكير المسلمين .

ولعل الثقافة اليونانية من أكثر هذه التيارات أثراً ، ويرجع البعض أثرها الى ماقبل الاسلام « وجملة القول ان الثقافة اليونانية كانت هي السائدة في بيئة شرقنا هذا منذ فتوح الاسكندر ، وظلت متقدمة مع الزمن ، يضاف اليها عوامل تختلف باختلاف الأزمان ، وقد اختلطت بالفلسفة الهندية والفارسية والمصرية ، ولكنها ظلت هي الظاهرة المسيطرة إلى ان جاء المسلمون الذين نشطوا بعد تأثيل الملك إلى اقتباس مدنية من سبقهم فوجدوها ميسرة [1] ..

ومن اختلاط الثقافة اليونانية قبل الاسلام مع بقية الثقافات الأخرى ، ومع اصطباغها بفكرة ماوراء الطبيعة بالأسلوب المسيحي ، ظهرت الافلاطونية الجديدة في القرن الثالث للميلاد وكان لها أثر كبير على الفكر الاسلامي وخاصة الصوفي منه.

وكان أثر الفلسفة الهندية متأخراً عن الفلسفة اليونانية ، فقد بدأ في أواخر القرن الثالث الهجري ، وكان أكثر ما يبدو تأثيرها في التفكير الصوفي حيث تأثر بفكرة الفناء الروحي .

ولم يقل تأثير فلسفة الفرس عن تأثير فلسفة الهنود وأكثر ماتظهر آثارهم في العقائد الشيعية المتطرفة في الحق الالهي للملك ، وفي حلول الله في جسد الامام

(١) التصوف الاسلامي ، الطيباوي ص٩ .

كما أن مدرسة حران بمن فيها من الصابئة تركت تأثيرها ولو أنه جاء متأخراً ، وكان الصابئة وثنيين متـترين بكلمة الصابئة الواردة في القرآن[١] .

ونستطيع ان نقسم العصور العباسية من الناحية الثقافية الى ثلاثة عصور :

١ ـ العصر الاول وهو دور النقل والتوسع والاستحداث والتجديد عن طريق الترجمة ومزج الثقافة العربية الاسلامية بغيرها .

٢ ـ العصر الثاني وهو دور التطبيق ومحاولة التقريب بين الفلسفة والدين .

٣ ـ العصر الثالث (عصر الغزالي) ظهرت فيه فورة جديدة ، وهي فورة الغضب للدين على الفلسفة .

وكان الغزالي من أهم ركائز هـذا العصر ، وقد تأثر بنشأته الصوفية التي هيأتها له بيئته فدفعت به الى دراسة كل ماسبقه من الفلسفات وأحوال أصحابها ثم عادت به روحانيته الى جوهر تعاليم الاسلام[٢] .

ولا شك أن تأثر المسلمين بالعناصر الثقافية الوافدة كان كبيراً بسبب كثرة ماجاء به النقلة من جميع انواع الفلسفات والعلوم والفنون .

وكان من طبيعة وجود هذه العوامل الثقافية المختلفة المتعارضة في كثير من الاحيان ، أن ظهر على هذا العصر طابع الاسراف في التفكير ، وجموح الخيال ، بل لقد انقلبت وجوه الاسراف الي بلبلة عجيبة وعرض عجيب للملل والنحل والمذاهب وأصبح المجتمع عجيباً « امتلأت حقائب تاريخه بعثات من والطرق والمذاهب الدينية والفلسفية والكلامية ، حتى لقد أصبح لكل لسان ذرب مذهب خص به ، ولكل قلم ممتلىء أمة فكرية تتبعه [٣] » .

(١) المرجع السابق ص ١٠ .
(٢) الغزالي للرفاعي ص ٣١ .
(٣) الغزالي طه عبد الباقي سرور ص ٨

فالفلسفة اليونانية ، والرغبة في الخروج على القديم لها أنصارها ، وأنصار القديم ومحاربه هذا الاتجاه لهم أنصارهم ، ثم إن أنصار القديم مختلفون على أنفسهم ، وعلماء الكلام في خلاف مستمر بين أشعري ومعتزل ..

ولا يصح ان نغفل أنصار الصوفية الذين رأوا هذا التطور الجديد فلم يسكنوا اليه ولم يطمئنوا الى نتائجه ، فنهضوا الى المناداة بالعبـادة العلمية ، أو الكشف الباطني ، والمشاهدة المحضة ، فنشأت من الصوفية بعض الاتجاهات التي اختلطت بعناصر من مذاهب الفرس والهندواليونان [١] .

ولعل من المفيد أن نعرض هنا بعض الصور الرهيبة عن هذه الحالة من الفوضى الفكرية يذكرهـا ابن خلدون في العبر « كانت مدينة بغداد قد احتفلت في كثرة العمران بما لم تنته اليه مدينة في العالم منذ بدء الخليقة فيما علمناه ، واضطربت آخر الدولة العباسية بالفتن ، وكثر فيها المفسدون والدعار والعيارون ... وربما حدثت الفتن من أهل المذاهب ومن أهل السنة والشيعة من الخلاف في الامامة ومذاهبها ، وبين الحنابلة والشافعية ، وغيرهم، من تصريح الحنابلة بالتشبيه في الذات والصفات ونسبتهم ذلك الى الامام احمد وحاشاه منه ، فيقع الجدال والنكير ثم يفضي ذلك الى الفتنة بين العوام ... وتكرر ذلك ..[٢] »

ويقول أيضاً « وكان ابو النصر بن الاستاذ أبي القاسم القشيري قد حج سنة ٤٦٩ فورد هذا بغداد منصرفاً من الحج ووعظ الناس بالنظامية وفي رباط شيخ من الشيوخ ونصر مذهب الاشعري فأنكر عليه الحنابلة وكثر التعصب من الجانبين وحدثت الفتن والنهب عند المدرسة النظامية [٣] »

(١) الغزالي للرفاعي ص ٧٥ .
(٢) العبر لابن خلدون ج٣ ص٤٧٧ .
(٣) العبر لابن خلدون ج ٣ ص ٤٧٢ .

أضف الى هذه العوامل تأييد الحكام لبعض الاتجاهات الفكرية دون الاخرى ، فقد تدخل نظام الملك لاعادة شأن الأشاعرة وقوتهم ، وكان نظام الملك صاحب فكرة تتعلق بالسياسة فقد وقف مع السنة تجاه الفاطميين والباطنية، وأسس المدارس النظامية لدعم هذا الاتجاه وهكذا ...

في هذا الجو المضطرب كانت سفينة الغزالي تشق طريقها ، وقد تسلح باطلاعه على أكثر الثقافات كما رأينا ، بالاضافة الى أنه كان « شديد الذكاء سديد النظر ، عجيب الفطرة ، مفرط الادراك ، قوي الحافظة ، بعيد الغور، غواصاً على المعاني الدقيقة ، جبل علم مناظراً محجاجاً(١) » .

وقد وصفه أستاذه الجويني بأنه « بحر مغدق (٢) » .

وقال عنه أحد معارضيه في الرأي وهو ابن الجوزي « وتفقه على أبي المعالي الجويني وبرع في النظر في مدة قريبة وقاوم الاقران وتوحد وصنف الكتب الحسان في الأصول والفروع التي انفرد بحسن وضعها وترتيبها وتحقيق الكلام فيها حتى أنه صنف في حياة أستاذه الجويني ، فنظر الجويني الى كتابه المسمى بالمنخول فقال له دفنتني وأنا حي هلا انتظرت أموت؛ وأراد ان كتابك غطى على كتابي(٣) » .

وقد عرف عنه مرونته في التفكير ، وقدرته على التوفيق بين الآراء المختلفة ، للوصول الى رأي وسط بينها « كما كان يلاطف الفرقاء ويستعمل ألفاظهم ويسمي بأسمائهم وذلك ليكسب ثقتهم ثم ليهدم مابنوه(٤) » .

وقد استطاع أن يخدم السنة ، والصوفية ، والاشاعرة ، ووقف حائلاً بين

---

(١) طبقات السبكي جـ ٤ ص ١٠٣ .
(٢) نفس المرجع السابق .
(٣) المنتظم جـ ٩ حوادث سنة ٥٠٥ .
(٤) الحقيقة في نظر الغزالي سليمان دنيا ص ٨٤ .

الفلسفة واضطراد تقدمها. وكان كتاب « التهافت » فيصلاً بين عهدين من عهود الفلسفة في المشرق ، إذ لم يتيسر لها أن تحتفظ بالتقدير الذي كانت تتمتع به من قبل(١) » .

ويظن « دوجا » أن انتصار الغزالي على الفلسفة كان سهلاً بسبب تمهيد المدارس السنية وخاصة النظامية (٢) .

ولكن يبقى للغزالي لو أخذنا برأي دوجا ان أحداً قبله « لم يحاول ان يشن على جملة المذاهب الفلسفية التي قامت في الشرق على أساس من الفلسفة اليونانية غارة تستند الى وجهات نظر عامة وتقوم على دراسة عميقة(٣) » .

ويلخص الدكتور ماكدونالد سبب قوة تأثير الغزالي على العالم الاسلامي من أربعة أوجه فهو :

أولاً : كان زعيماً عاملاً على إرجاع المسلمين عن التعاليم المجردة التي لا مغزى ولا معنى لها الى تصال قوي مع الكتاب والسنة لأنهما في نظره ينبوع الاسلام الوحيد ويمكن بل يجوز لنا ان نسميه فقيهاً في القرآن كما نفهم من هذه التسمية في عصرنا الحالي لأن تفسيره للكتاب ليس إيراداً لما أورده الغابرون من التفاسير ولكنه تفسير روحي لنصوص القرآن صادر من فيوضات آرائه الخاصة .

ثانياً : أدخل الغزالي في العالم الاسلامي عنصر الخوف من جديد لأنه في الأيام السابقة كانت مخاوف يوم الدينونة وأهوال الجحيم — كما في نصوص القرآن — عبارة عن زاجر قوي يزجر القوم ويردعهم ويوقظهم ويدعوهم الرجوع إلى التوبة.

---

(١) تاريخ الفلسفة في الاسلام دوبور ص ٢٤١ .
(٢) Histoire Des Philosophes Et Des Theologues Musulmans P .162,
(٣) تاريخ الفلسفة في الاسلام — دوبور ص ٢١٢ .

ولكن ميل الخلفاء والرؤساء والعلماء إلى مايلذ أجسادهم جعل القوم يجرؤون على إهمال هذه التعاليم وعلى التهاون بها فجاء الغزالي وأعاد إلى هذه التعاليم قوتها الأولى ورونقها، وعززها، وأطنب فيها حتى جعل الفرائص ترتعد من كثرة ما ذكر فيها من المخاوف والأهوال وقد استدللنا على هذه الحقيقة مما كتبه الإمام الغزالي في كتابه «الدرة الفاخرة» الذي له المقام الأسمى في قلوب المتدينين المسلمين إلى الآن.

ثالثاً كانت الصوفية موجودة في الاسلام قبل الغزالي، إلا أنها كان ينظر إليها كأنها شيء مخالف للشرع، مزر بمقام من يتبعه، ولكن الغزالي لما ظهر في ميدان الحياة عزز الصوفية في تعاليمه أيما تعزيز وطبقها على الشرع وطبق الشرع عليها وزاد في تكريمها حتى صارت الصوفية ذات المكانة العليا بين عموم السنيين المسلمين بل بين جميع الفرق الاسلامية منذ ذلك الحين.

رابعاً: إن هذا الإمام حلل الفلسفة حتى جعلها قريبة من العقول العادية، ثم بين خطرها ومبادئها الأساسية، ثم أظهر كتابه بشكل جلي أنه لا فرق بين الفلسفة الحقة ومبادىء الاسلام[١]».

ولعل ماكدونالد يصيب الحقيقة حين يقول «إنه لم يكن كشافاً، ولا أول من ركب الطريق واهتدى إلى النجد، ولكنه كان رجلاً كبير الشخصية، شديد التأثير، نهج سبلاً مطروقة، فجعلها شرعاً عاماً، ومحجة واضحة، وهذا من فضل شخصيته وقوة خليقته، وقد يكون ثم من هو أبرع منه وأدق منطقاً وأفقه منه علماً، وأكثر منه مواهب من قديسين ومتدينين[٢]».

٨ — حول مؤلفات الغزالي:

من الواضح أن الغزالي من أكثر كتاب العالم إنتاجاً، وتنوعاً، لذلك وصفه

(١) الفواس واللآلىء لزويمر ص١٢٧ ومابعدها.
(٢) الغزالي الرفاعي ج١ ص١٠٨.

أحدهم بأمير الكتاب فقال «محمد بن عبدالله أمير الأنبياء، ومحمد بن ادريس الشافعي أمير الإيمان، ومحمد بن محمد بن حامد الغزالي أمير الكتاب[١]».

وكان أهم ما تناوله الغزالي في هذه المؤلفات:

١ — الفقه وأصوله.
٢ — المنطق والفلسفة والرد على الفلاسفة.
٣ — الرد على الباطنية.
٤ — النظريات الدينية.
٥ — دراسات حول القرآن.
٦ — علم الكلام.
٧ — التجارب الروحية والدينية.
٨ — تاريخ حياته.
٩ — كتب مضنون بها تضم بعض آرائه الخاصة.
١٠ — دراسات أخرى متفرقة.

وقد أوصل بعض المؤلفين كتب الغزالي الى حوالي ٣٠٠، ويرجع في هذا الخصوص إلى كتب الغزالي نفسه وإلى بروكلمان، وكارادوفو وبويج والسبكي والزبيدي والزركلي وجبر وسركيس والبغدادي وحاجي خليفة وغيرهم.

ومن أهم مايلفت النظر بالنسبة لمؤلفات الغزالي:

١ — غزارة الإنتاج.
٢ — تنوع الإنتاج.
٣ — الاحالة إلى كتبه.

(١) الفواس واللآلىء لزويمر ص ١٧١

ولذلك قيل إن ما كتبه الغزالي يعرف من كتبه أكثر مما كتب عنه، ولا تلبث أن تقرأ كتاباً من كتب الغزالي، حتى تعرف جملة من أسماء كتبه، لأنه لا يدع مناسبة لكتاب من كتبه تمر دون أن يشير فيها إلى ذلك الكتاب ويحيل عليه[1] ».

وهذا ماجعل البعض يجعل من أسباب الشك في نسبة الكتاب إليه عدم ذكره في كتبه الأخرى، هذا مالاحظه بالاسيوس بالنسبة لكتاب « معارج القدس » وجعل وات يشك فيه[2] ».

٤ — سهولة العبارة : والبعد عن التعقيد، وعدم تقيده بقواعد البلاغة أحياناً مما جعل البعض يضعف أسلوبه[3] ».

٥ — وضوح الأفكار وتنسيقها وتبويبها وتصنيف الموضوعات.

٦ — الاعتماد على الجدل في معرض الحاجة؛ ولعل كتاب « التهافت » أحسن دليل على طريقته الجدلية.

٧ — مراعاة المرتبة العقلية لمن يخاطبهم : وذلك على قاعدة « خاطبوا الناس على قدر عقولهم »، وكان الغزالي ماهراً في معرفته لنفسيات المخاطبين ودرجتهم العقلية وقد صنف الناس إلى ثلاثة أنواع[5] :

آ ـ عوام وهم أهل السلامة، البله، وهم أهل الجنة.

ب ـ خواص وهم أهل الذكاء والبصيرة.

---

(١) الحقيقة ـ سليمان دنياص ٩٧

(٢) كتاب Bauyeges السابق ص٨٧

(٣) الغزالي تيسير شيخ الارض ص١٧٦ وسليمان دنيا ـ الحقيقة ص٩٨

(٤) الغزالي لتيسير شيخ الارض ص ١٧٨.

(٥) القسطاس المستقيم ص٨٦ وما بعدها.

جـ ـ ويتولد بينهم طائفة هم أهل الجدل والشغب فيتبعون ماتشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة.

واسمع إليه كيف يسلك بين هؤلاء جميعاً : أما الخواص، في أعالجهم بأن أعلمهم الميزان القسط، وكيفية الوزن به، فيرتفع الخوف على قرب، وهؤلاء قوم اجتمع فيهم ثلاث خصال :

إحداها : القريحة النافذة، والفطنة القوية، وهذه عطية فطرية وغريزة جبلية لا يمكن كسبها.

والثانية خلو باطنهم عن تقليد، وتعصب لمذهب موروث مسموع، فان المقلد لا يصغي والبليد وإن أصغى لا يفهم.

والثالثة : أن يعتقد فيَّ أني من أهل البصيرة بالميزان، ومن لم يؤمن بأنك تعرف الحساب، لا يمكنه أن يتعلم منك.

والصنف الثاني، البله، وهم جميع العوام، وهؤلاء هم الذين ليس لهم فطنة لفهم الحقائق وإن كانت لهم فطنة فليس لهم داعية الطلب، بل شغلهم الصناعات والحرف وليس لهم داعية الجدل.

فأدعو هؤلاء الى الله بالموعظة، كما أدعو أهل البصيرة بالحكمة، وأدعو أهل الشغب بالمجادلة ...

وأما الصنف الثالث وهم أهل الجدل فإني أدعوهم بالتلطف الى الحق، وأعني بالتلطف، ألا أتعصب عليهم، ولا أعنفهم، ولكن أرفق وأجادل بالتي هي أحسن وكذلك أمر الله ورسوله ﷺ.

ومعنى المجادلة بالتي هي أحسن، أن آخذ الأصول التي يسلمها الجدلي، وأستنتج منها الحق بالميزان المحقق، على الوجه الذي أوردته في كتاب « الاقتصاد في الاعتقاد » وإلى هذا الحد.

٨ ـ ولا بد من الإشارة أخيراً إلى أن عدداً من الكتب دست على الغزالي ، كما حصل مع غيره من المشهورين في تاريخ الفكر .

ويذكر الزبيدي عدة كتب يعتبرها مدسوسة عليه وهي السر المكتوم، تحسين الظنون ، النفخ والتسوية (وهو المضنون الصغير) ، المضنون به على غير أهله .

وهو يشترك بالنسبة للكتاب الأخير مع ابن الصلاح الذي ينكر أن يكون هذا الكتاب له لأنه يشتمل ـ بزعمه ـ على التصريح بقدم العالم ، ونفي العلم بالجزئيات ونفي الصفات وكل واحدة من هذه يكفر الغزالي قائلها هو وأهل السنة أجمعون[١] .

ويؤيد هذا الرأي من المحدثين الدكتور العناني وزكي المبارك [٢].

ويذهب الدكتور صليبا والدكتور عياد في تحقيقهما لكتاب المنقذ إلى رأي محي الدين بن عربي في أن المضنون الكبير للغزالي وأما المنحول فهو المضنون الصغير أو مايسمى « النفخ والتسوية » . وللأستاذ دنيا مناقشة لطيفة حول هذا الموضوع في كتابه الحقيقة في نظر الغزالي[٣] .

ويرجح جرجي زيدان أن التبر المسبوك مدسوس على الغزالي[٤]، ويرى محققا المنقذ أن هذا الكتاب منحول .

ومن المؤلفات التي ثار اللغط حول نسبتها للغزالي كتاب « معارج القدس في مدارج معرفة النفس » .

فقد ذكر الدكتور محمد يوسف موسى في كتابه الأخلاق في الإسلام «إننا كثيراً ما أعربنا عن شكنا في نسبة معارج القدس للغزالي ، وإن كنا نجده مذكوراً في ثبت الكتب الصحيحة النسبة إليه ، وليس شكنا لما فيه من النقل الحرفي عن

(١) طبقات السبكي ج٤ ص ١٣٤
(٢) الاخلاق عند الغزالي لزكي المبارك ص ١١٩ .
(٣) الحقيقة ـ دنيا ص ١٠٩
(٤) مجلة الهلال مجلد ١٥ ج ٦ .

ابن سينا ، بل لاشتماله على غير قليل من الآراء التي نقمها على الفلاسفة ورماهم من أجلها بالابتداع إن لم نقل بأكثر من الابتداع[١]» .

ويضع بويج هذا الكتاب في قائمة الكتب التي لم يستطع أن يحدد لها فترة زمنية والتي يجب أن ينظر إلى شرعيتها بعناية[٢] .

أما بالاسيوس فيلاحظ عدم الاحالة إلى هذا الكتاب من الغزالي ، ويعتمد وات على هذه الملاحظة فينكر نسبته له[٣].

ويرى الأستاذ دنيا أنه صحيح النسبة اليه للأسباب التالية :

١ ـ إن كثيراً من فصوله موجودة بعضها في كتب أخرى[٤] مثل ميزان العمل ، ومعراج السالكين ، وإحياء علوم الدين .

٢ ـ اذا كان الاصل الذي من أجله يجعلنا نشك في نسبة الكتاب للغزالي أنه يتضمن آراء يناقض فيها آراءه في الكتب الأخرى ، فان من طبيعة الغزالي أن يصرح في الكتب العامة برأي ، ويسجل في كتب الخاصة رأياً آخر[٥] .

٣ ـ وعند الغزالي في كتاب معراج السالكين[٦] أنه سيتناول النفس بالدراسة في كتاب خاص ، فلم لا يكون هذا الكتاب هو نفسه الذي وعد به .

٤ ـ اشترط في كتاب « معارج القدس » نفس مايشترط في جواهر القرآن لكتب الخاصة[٧] .

٥ ـ ذكر الغزالي هذا الكتاب في « خلاصة التصانيف » في معرض جوابه على

(١) الاخلاق في الاسلام ص ١٥٦
(٢) Bouyges الكتاب السابق ص ٨٩
(٣) المرجع السابق . الهامش
(٤) الحقيقة ـ دنيا ٩٤ وما بعدها .
(٥) دنيا ص ١٥٣
(٦) المراج ص ٣٤
(٧) دنيا ص ١٥٤

أحد تلاميذه ، فأشار عليه بقراءة كتاب « معراج القدس » والظن أنه تحريف « لمعارج القدس ».

ولا بد من الاشارة الى أن الدكتور عبد الرحمن بدوي أعد كتاباً عن مؤلفات الغزالي بتكليف من المجلس الأعلى للآداب والفنون استعداداً لمؤتمر « الغزالي » في دمشق.

★ ★ ★

وفي ختام هذه المقدمة لا بد لي من ان اقدم جزيل الشكر وأوفره لأستاذي الجليل الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ، الذي كان صاحب الفضل حين أشار علي بأن أقوم بهذا العمل ، وفي متابعة ارشاده ونصحه .

واني لأرجو أن أكون قد انجزت مهمتي كما أراد خدمة للمهتمين بهذا الفرع من الدراسات الاسلامية ، وللراغبين في معرفة « الغزالي » الرجل الذي قال عنه دوبور « انه أعجب شخصية في تاريخ الاسلام ».

عبد الكريم العثمان

ذكر كلام عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي (١)

٥٢٩ هـ

قال أبو الحسن عبد الغافر بن اسماعيل الخطيب الفارسي خطيب نيسابور[٢] محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي ، حجة الاسلام والمسلمين ، إمام أئمة الدين ، لم تر العيون مثله لساناً وبياناً ، ومنطقاً وخاطراً وذكاءً وطبعاً ، أخذ طرفاً في صباه بطوس[٣] من الفقه على الإمام أحمد الراذكاني[٤] ، ثم قدم نيسابور مختلفاً إلى درس إمام الحرمين[٥] في طائفة من الشبان من طوس ، وجد واجتهد حتى تخرج في مدة قريبة ، وبز الأقران وحمل القرآن ، وصار أنظر أهل زمانه ،

---

(١) هو عبد الغافر بن اسماعيل الخطيب الفارسي ، الحافظ أبو الحسن الفارسي ثم النيسابوري ولد سنة ٤٥١ هـ وتفقه على إمام الحرمين ، وكان إماماً حافظاً أديباً صنف السياق لتاريخ نيسابور وشرح غريب مسلم . توفي سنة ٥٢٩ هـ . والكلام مأخوذ من الطبقات الكبرى للسبكي .

(٢) مدينة بخراسان انظر ياقوت معجم البلدان طبعة لايبزيغ مجلد ٤ ص ٨٥٧

(٣) إحدى مدن خراسان تتألف من طابران ونوقان . انظر المرجع السابق مجلد ٣ ص ٥٦٠

(٤) هو احمد بن محمد ابو حامد الرازكاني من قرى طوس . لم يذكر له تاريخ وفاة انظر السبكي الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٣٦ الطبعة الحسينية .

(٥) هو عبد الملك الجويني الملقب بأبي المعالي ، من كبار فقهاء الشافعية درس في النظامية ببغداد وسافر إلى الحجاز فترة توفي سنة ٤٧٨ هـ

وأوحَدَ أقرانه في أيام إمام الحرمين ، وكان الطلبة يستفيدون منه ، ويُدرِّس لهم ، ويرشدهم ، ويجتهد في نفسه . وبلغ الأمر به إلى أن أخذ في التصنيف . وكان الإمام مع علو درجته وسمو عبارته وسرعة جريه في النطق والكلام ، لا يصفي نظره إلى الغزالي سراً لإبائه عليه في سرعة العبارة وقوة الطبع ، ولا يطيب له تصديه للتصانيف وإن كان متخرجاً به منتسباً إليه كما لا يخفى من طبع البشر ، ولكنه يظهر التبجح به والاعتداد بمكانه ظاهراً خلاف مايضمره ثم بقي كذلك إلى انقضاء أيام الإمام .

فخرج من نيسابور وصار الى العسكر (١) واحتل من نظام الملك (٢) محل القبول ،وأقبل عليه الصاحب لعلو درجته ، وظهور اسمه ، وحسن مناظرته وجري عبارته . وكانت تلك الحضرة محط رحال العلماء ، ومقصد الأئمة والفصحاء ، فوقعت للغزالي اتفاقات حسنة من الاحتكاك بالأئمة وملاقاة الخصوم اللد ومناظرة الفحول ومناقدة الكبار ، وظهر اسمه في الآفاق وارتفق بذلك أكمل الارتفاق حتى أدت به الحال إلى أن رسم للمصير إلى بغداد للقيام بتدريس المدرسة الميمونة النظامية (٣) بها فصار اليها ، وأعجب الكل تدريسه ومنظرته ، ومالقي مثل نفسه، وصار بعد إمامة خراسان إمام العراق .

ثم نظر في علم الأصول وكان قد أحكمها فصنف فيه تصانيف ،وجدد المذهب في الفقه فصنف فيه تصانيف ، وسبك الخلاف ، فجدد فيه أيضاً تصانيف. وعلت

(١) عسكر نيسابور ياقوت معجم البلدان ج ٣ ص ٦٧٧

(٢) الحسن بن علي .. نظام الملك الطوسي وزر لألب ارسلان ، ثم للسلطان ملكشاه اقترنت المدارس النظامية باسمه ، وقد انشأها لتدعيم الثقافة السنية مقابل الثقافية الفاطمية وأهم هذه المدارس : مدرسة بغداد ، مدرسة نيسابور ، مدرسة بلخ .. الخ .. قتل سنة ٤٨٥ بيد أحد الباطنيه .

(٣) احدى المدارس التي أنشأها نظام الملك .

حشمته ودرجته في بغداد حتى كانت تغلب حشمة الأكابر والأمراء ودار الخلافة، فانقلب الأمر من وجه آخر .

وظهر عليه بعد مطالعة العلوم الدقيقة وممارسة الكتب المصنفة فيها وسلك طريق الزهد والتأله ، وترك الحشمة وطرح مانال من الدرجة للاشتغال بأسباب التقوى وزاد الآخرة ، فخرج عما كان فيه وقصد بيت الله وحج ثم دخل الشام وأقام في تلك الديار قريباً من عشر سنين يطوف ويزور المشاهد المعظمة ، وأخذ في التصانيف المشهورة التي لم يُسبق إليها ، مثل إحياء علوم الدين (١) ، والكتب المختصرة منه ، مثل الأربعين وغيرها من الرسائل التي من تأملها علم محل الرجل من فنون العلم .

وأخذ في مجاهدة النفس ، وتدبير الأخلاق ، وتحسين الشمائل ، وتهذيب المعاش ، فانقلب شيطان الرعونة ، وطلب الرياسة والجاه ، والتخلق بالأخلاق الذميمة ، إلى سكون النفس ، وكرم الأخلاق والفراغ عن الرسوم والترتيبات ، وتزيا بزي الصالحين وقصر الأمل ووقف الأوقات على هداية الخلق ، ودعائهم إلى مايعنيهم من أمر الآخرة وتبغيض الدنيا والاشتغال بها على السالكين ، والاستعداد للرحيل الى الدار الباقية ، والانقياد لكل من يتوسم فيه أو يشم منه رائحة المعونة أو التيقظ بشيء من أنوار المشاهدة حتى مرن على ذلك ولان .

ثم عاد الى وطنه ملازماً بيته مشتغلاً بالتفكر ، ملازماً للوقت ، مقصوداً تقياً وذخراً للقلوب لكل من يقصده ويدخل عليه ، إلى أن أتى على ذلك مدة ، وظهرت التصانيف وفشت الكتب ولم تبد في أيامه مناقضة لما كان فيه ولا اعتراض لأحد على مأمره . حتى انتهت نوبة الوزارة الى الأجل فخر الملك (٢) جمال الشهداء تغمده الله برحمته ، وتزينت خراسان بحشمته ودولته ، وقد سمع

(١) من أهم الكتب تأثيراً في الفكر والمجتمع الاسلاميين وسيأتي الحديث عنه .

(٢) أبو المظفر علي بن نظام الملك وكان أكبر أولاده قتل سنة ٥٠٠ بيد احد الباطنية.

وتحقق بمكان الغزالي ودرجته وكمال فضله وحالته وصفاء عقيدته ومعاشرته ، فتبرك به وحضره وسمع كلامه ، فاستدعى منه أن لا يُبقي أنفاسه وفوائده عقيمة لا استفادة منها ولا اقتباس من أنوارها ، وألح عليه كل الالحاح وشدد في الاقتراح الى أن أجاب الى الخروج وحمل الى نيسابور وكان الليث غائباً عن عرينه ، والأمر خافياً في مستور قضاء الله ومكنونه ، فأشير عليه بالتدريس في المدرسة الميمونة النظامية عمرها الله فلم يجد بداً من الاذعان لمولاه ، ونوى باظهار ما اشتغل به هداية الشداة ، وإفادة القاصدين ، دون الرجوع الى ماانخلع عنه وتحرر عن رقه من طلب الجاه ومماراة الاقران ومكابرة المعاندين ؛ وكم قرع عصاه بالخلاف والوقوع فيه ، والطعن فيما يذره ويأتيه ، والسعاية به والتشنيع عليه ، فما تأثر به ولا اشتغل بجواب الطاعنين ولا أظهر استيحاشاً بغميزة المخلطين . ولقد زرته مراراً وما كنت أحدث نفسي ماعهدته في سالف الزمان عليه من الزعارة وإيحاش الناس والنظر اليهم بعين الازدراء ، والاستخفاف بهم كبراً وخيلاء ، واغتراراً بما رزق من البسطة في النطق والخاطر والعبارة ، وطلب الجاه والعلو في المنزلة إنه صار على الضد وتصفى عن تلك الكدورات . وكنت أظن أنه متلفع بجلباب التكلف متيمن بما صار اليه . فتحققت بعد التروي والتنقير ان الأمر على خلاف المظنون وأن الرجل أفاق بعد الجنون ، وحكى لنا في ليال كيفية أحواله من ابتداء ماظهر له من سلوك طريق التأله وغلبة الحال عليه بعد تبحره في العلوم واستطالته على الكل بكلامه ، والاستعداد الذي خصه الله به في تحصيل أنواع العلوم ، وتمكنه من البحث والنظر حتى تبرم من الاشتغال بالعلوم الغريبة عن المعاملة وتفكر في العاقبة وما يجدي وما ينفع في الآخرة ، فابتدأ بصحبة الفارمدي[1] وأخذ منه استفتاح الطريقة ، وامتثل ما كان يشير به عليه من القيام بوظائف

(١) الفضل بن محمد من أهل طوس تفقه على الغزالي الكبير « وهو غير أبي حامد » وصاحب القشرى توفي سنة ٧٧ ؛

العبادات والامعان في النوافل واستدامة الأذكار والجد والاجتهاد طلباً للنجاة ، الى أن جاز تلك العقبات ، وتكلف تلك المشاق وما تحصل على ما كان يطلبه من مقصوده . ثم حكى أنه راجع العلوم وخاض في الفنون وعاود الجد والاجتهاد في كتب العلوم الدقيقة واقتفي تأويلها حتى انفتح له أبوابها ، وبقي مدة في الوقائع وتكافؤ الأدلة وأطراف المسائل ، ثم حكى أنه فتح عليه باب من الخوف بحيث شغله عن كل شيء وحمله على الإعراض عما سواه حتى سهل ذلك وهكذا هكذا الى أن ارتاض كل الرياضة ، وظهرت له الحقائق ، وصار ما كنا نظن به تمرساً وتخلقاً ، طبعاً وتحققاً ، وإن ذلك أثر السعادة المقدرة له من الله .

ثم سألناه عن كيفية رغبته في الخروج من بيته ، والرجوع الى مادعي إليه من أمر نيسابور فقال معتذراً عنه : ما كنت أجوز في ديني إلى أن أقف عن الدعوة ومنفعة الطالبين بالإفادة . وقد حق علي أن أبوح بالحق وأنطق به وأدعو إليه ، وكان صادقاً في ذلك .

ثم ترك ذلك قبل أن يترك[1] وعاد الى بيته ، واتخذ في جواره مدرسة لطلبة العلم ، وخانقاه للصوفية ، وكان قد وزع أوقاته على وظائف الحاضرين من ختم القرآن ، ومجالسة أهل القلوب ، والقعود للتدريس ، بحيث لا تخلو لحظة من لحظاته ولحظات من معه عن فائدة ، إلى أن أصابه عين الزمان ، وضنت به الايام على أهل عصره ، فنقله الى كريم جواره بعد مقاساة أنواع من التقصد والمناوأة من الخصوم ، والسعي به الى الملوك ، وكفاه الله وحفظه وصانه من أنْ تنوشه أيدي المنكيات ، أو ينتهك ستر دينه بنيء من الزلات . وكانت

(١) قد تفيد هذه العبارة تحسس الغزالي بتغير الجو عليه في بلاط السلطان وقد يكون المقصود منها ، المعنى الصوفي أي انه رغب عن الدنيا والتدريس خشية التقصير في امور الآخرة

خاتمة أمره إقباله على حديث المصطفى ﷺ ، ومجالسة أهله ، ومطالعة الصحيحين البخاري ومسلم اللذين هما حجة الاسلام ، ولو عاش لسبق الكل في ذلك الفن بيسير من الايام يستفرغه في تحصيله . ولا شك أنه سمع الاحاديث في الايام الماضية واشتغل بآخر عمره بسماعها ولم تتفق له الرواية ، ولا ضرر فيما خلفه من الكتب المصنفة في الأصول والفروع ، وسائر الأنواع تخلد ذكره ، وتقرر عند المطالعين المستفيدين منها أنه لم يخلف مثله بعده .

مضى الى رحمة الله يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة . ودفن بظاهر قصبة طابران(١) والله تعالى يخصه بأنواع الكرامة في آخرته ، كما خصه بفنون العلم في دنياه بمنّه . ولم يعقب إلا البنات . وكان له من الأسباب إرثاً وكسباً ، مايقوم بكفايته ، ونفقة أهله وأولاده ، فما كان يباسط أحداً في الأمور الدنيوية ، وقد عرضت عليه أموال فما قبلها وأعرض عنها واكتفى بالقدر الذي يصون به دينه ولا يحتاج معه الى التعرض لسؤال ومنال من غيره .

ومما كان يعترض به عليه وقوع خلل من جهة النحو يقع في أثناء كلامه .

وروجع فيه فأنصف من نفسه ، واعترف بأنه ما مارس ذلك الفن واكتفى بما يحتاج اليه في كلامه ، مع أنه كان يؤلف الخطب ،ويشرح الكتب بالعبارات التي تعجز الأدباء والفصحاء عن امثالها ،وأذن للذين يطالعون كتبه فيعثرون على خلل فيها من جهة اللفظ أن يصلحوه ويعذروه فما كان قصده إلا المعاني وتحقيقها ، دون الالفاظ وتلفيقها .

ومما نقم عليه ماذكر من الالفاظ المستبشعة بالفارسية ، في كتاب كيمياء السعادة(٢)

(١) إحدى مدينتي طوس والمدينة الاخرى نوقان . ياقوت معجم البلدان ج٣ ص٤٨٦

(٢) انظر فهرس الآثار المطبوعة للغزالي في نهاية الكتاب .

والعلوم ، وشرح بعض الصور والمسائل بحيث لايوافق مراسم الشرع ، وظاهر ما عليه قواعد الاسلام ، وكان الأولى به والحق أحق مايقال ، ترك ذلك التصنيف والاعراض عن الشرح به ، فان العوام ربما لايحكمون أصول القواعد بالبراهين والحجج ، فاذا سمعوا شيئاً من ذلك تخيلوا منه ماهو المضر بعقائدهم ، وينسبون ذلك الى مذاهب الأوائل . على ان المنصف اللبيب ، اذا رجع إلى نفسه علم أن اكثر ما ذكره مما رمز اليه إشارة الشرع ، وإن لم يبح به ، ويوجد أمثاله في كلام مشايخ الطريقة مرموزة ومصرح بها متفرقة ، وليس لفظ منها إلا وكما يشعر احد وجوهه بكلام موهم فانه يشعر سائر وجوهه بما يوافق عقائد أهل الملة ، فلا يجب إذاً حمله إلا على موافق ، ولا ينبغي أن يتعلق به في الرد متعلق ، إذا أمكنه أن يبين له وجهاً في الصحة يوافق الأصول ، على أن هذا القدر يحتاج الى من يظهره ويقوم به . وكان الاولى أن يترك الافصاح بذلك كما تقدم ذكره ، وليس كل ما يتفرد ويتمشى لأحد تقديره ينبغي أن يظهره بل اكثر الاشياء فيما يدري ويطوى ولا يحكى ، فعلى ذلك درج الأولون من السلف الصالحين ، إبقاء على مراسم الشرع وصيانة الدين عن طعن الطاعنين وغيرة المارقين الجاحدين والله الموفق للصواب.

وقد ثبت أنه سمع سنن أبي داود السجستاني(١) عن الحاكم أبي الفتح الحاكمي الطوسي وماعثرت على سماعه ، وسمع من الاحاديث المتفرقة آلافاً من الفقهاء فما عثرت عليه ماسمعه من كتاب مولد النبي ﷺ من تأليف أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني ، رواية الشيخ أبي بكر أحمد بن الحرث الاصبهاني الإمام ، عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان بن المنصف ، وقد سمعه الإمام الغزالي من الشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد الخواري خوار طابران

(١) من كبار المشتغلين بالحديث توفي سنة ٢٧٥ هـ

مع ابنيه الشيخين عبد الجبار وعبد الحميد وجماعة من الفقهـــاء . ومن ذلك ماقال أخبرنا الشيخ أبو عبد الله بن محمد أحمــــد الخواري ، أخبرنا أبو بكر بن الحارث الأصبهاني ، أخبرنا أبو محمد بن حيان ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم بن ابراهيم بن المنذر الخوارزمي ، حدثنـا عبد العزيز بن أبي ثابت ، حدثني الزبير بن موسى ، عن أبي الحويرث قال سمعت عبد الملك بن مروان ، سأل قتات بن أشيم الكناني ، أنت أكبر أم رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ أكبر مني، وأنا أسن منه، ولد رسول الله ﷺ عام الفيل وتمام الكتاب في جزء من مسموع له .

ذكر كلام ابن عساكر الدمشقي (١)

٤٩٩ - ٥٧١

أخبرنا الشيخ أبو الحسن عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي في كتابه قال :
(محمد بن محمد أبو حامد الغزالي . . . .
. . . .) (٢)

سمعت الشيـخ الفقيه ، الإمام أبا القاسم سعد بن علي بن أبي القاسم ، بن أبي هريرة الاسفراييني ، الصوفي ، الشافعي ، بدمشق (٣) . قال : سمعت الشيخ الامام الأوحد زين القراء ، جمال الحرم ، أبا الفتح عامر بن فحام بن عامر العربي الساوي ، بمكة حرسها الله ، يقول : دخلت المسجد الحرام ، يوم الأحد ، فيما بين الظهر والعصر ، الرابع عشر من شوال سنة خمس واربعين وخمسمائة ، وكان بي نوع تكسر ودوران رأس ، بحيث أني لا أقدر أن أقف ، أو أجلس ، لشدة مابي . وكنت أطلب موضعاً ، استريـح

(١) هو ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله . صنف كتاب تاريخ الشام ، وتبيين كذب المفتري ، ولد سنة ٤٩٩ ، وتوفي بدمشق سنة ٥٧١ هـ .
والكلام مأخوذ من كتابه « تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الامام أبي الحسن الاشعري .

(٢) انظر كلام عبد الغافر ص ٤٢ - ٤٧ من الكتاب

(٣) حدثنا بهذه الحكاية الامام أبو جعفر أحمد بن ابي بكر القرطبي قال سمعت الشيخ ابا الفتح عامر بن فحام وذلك بحضرة شيخنا ابي القاسم في حين سماعنا لهذا الكتاب عليه . ومن اثبت اسمه بالسماع سمعها من لفظ الشيخ ابي جعفر .

فيه ساعة على جنبي ، فرأيت باب بيت الجماعة للرباط الرامشتي عند باب العزورة ، مفتوحاً ، فقصدته ودخلت فيه ووقعت على جنبي الأيمن ، بحذاء الكعبة المشرفة مفترشاً يدي تحت خدي ، لكيلا يأخذني النوم ، فتنتقض طهارتي ؛ فاذا برجل من أهل البدعة ، معروف بهـا جاء ونشر مصلاه ، على باب ذلك البيت وأخرج لوحاً من جيبه أظنه كان من الحجر وعليه كتابة فقبله ، ووضعه بين يديه ، وصلى صلاة طويلة ، مرسلاً يديه فيها على عادتهم . وكان يسجد على ذلك اللويح في كل مرة ، فاذا فرغ من صلاته ، سجد عليه وأطال فيه ، وكان يمعك خده من الجانبين عليه ، ويتضرع في الدعاء ، ثم رفع رأسه فقبله ، ووضعه على عينيه ، ثم قبله ثانياً ، وأدخله في جيبه كما كان . قال فلما رأيت ذلك كرهته واستوحشت منه ذلك ؛ وقلت في نفسي ليت أن رسول الله ﷺ كان حياً فيما بيننا ليخبرهم بسوء صنيعهم ، وماهم عليه من البدعة ، ومع هـذا التفكر كنت أطرد النوم عن نفسي كيلا يأخذني ، فتفسد طهارتي ، فبينا أنا كذلك إذ طرأ علي النعاس ، وغلبني ، فكأني بين اليقظة والمنام فرأيت عرصة واسعة فيها ناس كثيرون ، واقفين وفي يد كل واحد منهم كتاب مجلد ، قد تحلقوا كلهم على شخص ، فسألت الناس عن حالهم ، وعمن في الحلقة ، قالوا هو رسول الله ﷺ وهؤلاء أصحاب المذاهب يريدون أن يقرؤوا مذاهبهم واعتقادهم من كتبهم على رسول الله ﷺ ، ويصححوه عليه . قال فبينا أنا كذلك أنظر الى القوم ، إذ جاء واحد من أهل الحلقة ، وبيده كتاب ، وقيل إن هـذا الشافعي رضي الله عنه ، فدخل في وسط الحلقة ، وسلم على رسول الله ﷺ ، قال : فرأيت رسول الله ﷺ ، في جماله ، وكماله ، متلبساً بالثياب البيض المغسولة النظيفة ، من العمامة والقميص وسائر الثياب ، على زي أهل التصوف ؛ فرد عليه الجواب ، ورحب به ، وقعد الشافعي بين يديه ، وقرأ من الكتاب مذهبه واعتقاده عليه ، وبعد ذلك جاء شخص آخر ، قيل هو أبو حنيفة رضي الله عنه وبيده كتاب ،

فسلم وقعد بجنب الشافعي ، وقرأ من الكتاب مذهبه واعتقاده ، ثم أتى بعده كل صاحب مذهب ، الى أن لم يبق إلا القليل ، وكل من يقرأ يقعد بجنب الآخر . فلما فرغوا إذا واحد من المبتدعة الملقبة بالرافضة قد جاء وفي يده كراريس غير مجلدة ، فيها ذكر عقائدهم الباطلة ، وهمّ أن يدخل الحلقة ، ويقرأها على رسول الله ﷺ ، فخرج واحدٌ ممن كان مع رسول الله ﷺ ، وأخـذ الكراريس من يده ، ورماها الى خارج الحلقة ، وطرده وأهانه ؛ قال فلما رأيت أن القوم قد فرغوا وما بقي أحد يقرأ عليه شيئاً تقدمت قليلاً ، وكان في يدي كتاب مجلد ؛ فناديت وقلت يارسول الله ، هذا الكتاب معتقدي ، ومعتقد أهل السنة ، لو أذنت لي حتى أقرأه عليك ، فقال ﷺ ؛ وإيش ذاك ، قلت : يارسول الله ، هو **قواعد العقائد**(١) الذي صنفـه الغزالي ، فأذن لي في القراءة ، فقعدت وابتدأت :

بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب قواعد العقائد ، وفيه أربعة فصول .

الفصل الأول .

في ترجمة عقيدة أهل السنة ، في كلمة الشهادة ، التي هي أحد مباني الاسلام ، فنقول وبالله التوفيق : الحمد لله ، المبدىء المعيد ، الفعال لما يريد ، ذي العرش المجيد ، والبطش الشديد ، الهادي صفوة العبيد ، الى المنهج الرشيد ، والمسلك السديد ؛ المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد ، بحراسة عقائدهم ، عن ظلمات التشكيك والترديد ، السابق بهم الى اتباع رسوله المصطفى ﷺ ، واقتفاء صحبه الأكرمين بالتأييد والتسديد ، المتجلي لهم في ذاته وأفعاله ، بمحاسن أوصافه التي لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد ؛ المعرف إياهم في ذاته أنه

(١) كتاب قواعد العقائد ذكره الغزالي في الاحياء ج ١ ص ٩ طبعة الحلبي . والغزالي في آرائه الكلامية مساير للأشعري إلا في أمور أوضحها في كتبه الكلامية .

واحد لاشريك له ، صمد لاضد له ، منفرد لاند له ، وأنه قديم لا أول له ، أزلي لابداية له ، مستمر الوجود لا آخر له ، أبدي لانهاية له ، قيوم لاانقطاع له ، دائم لا انصرام له ، لم يزل ولا يزال ، موصوفاً بنعوت الجلال ، لايقضى عليه بالانقضاء ، تصرم الآباد وانقراض الآجال ، بل هو الأول والآخر ، والباطن والظاهر .

التنزيه : وأنه ليس بجسم مصور ، ولا جوهر محدد مقدر ، وأنه لايماثل الأجسام ، لافي التقدير ولا بقبول الانقسام ، وأنه ليس بجوهر ، ولا تحله الجواهر ، ولا بعرض ، ولا تحله الأعراض ، بل لايماثل موجوداً ، ولا يماثله موجود ، وليس كمثله شيء ، ولا هو مثل شيء ، وأنه لايحده المقدار ، ولا تحويه الاقطار ، ولا تحيط به الجهات . ولا تكتنفه الارضون والسموات . وأنه استوى على العرش على الوجه الذي قاله ، وبالمعنى الذي أراده ، استواء منزهاً عن المماسة والاستقرار ، والتمكن والحلول والانتقال . لا يحمله العرش ، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ، ومقهورون في قبضته . وهو فوق العرش ، وفوق كل شيء ، الى تخوم الثرى ، فوقية لا تزيده قرباً الى العرش والسما ، بل هو رفيع الدرجات عن العرش ، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى . وهو مع ذلك قريب من كل موجود ، وهو أقرب الى العبيد من حبل الوريد ، وهو على كل شيء شهيد . إذ لايماثل قربه قرب الأجسام ، كما لا تماثل ذاته ذات الاجسام ، وأنه لايحل في شيء ، ولا يحل فيه شيء ، تعالى أن يحويه مكان ، كما تقدس عن أن يحده زمان . كان قبل أن خلق الزمان والمكان ، وهو الآن على ماعليه كان . وأنه بائن من خلقه بصفاته ، وليس في ذاته سواه ، ولا في سواه ذاته . وأنه مقدس عن التغيير والانتقال ، لاتحله الحوادث ، ولا تعتريه العوارض ، بل لايزال في نعوت جلاله منزهاً عن الزوال ، وفي صفات كماله مستغنياً عن زيادة الاستكمال ، وأنه في ذاته

معلوم الوجود بالعقول ، مرئي الذات بالابصار ، نعمة منه ولطفاً بالأبرار ، في دار القرار ، وإتماماً للنعيم بالنظر الى وجهه الكريم .

القدرة : وأنه حي قادر ، جبار قاهر ، لايعتريه قصور ولا عجز ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا يعارضه فناء ولا موت ، وأنه ذو الملك والملكوت ، والعزة والجبروت ، له السلطان والقهر ، والخلق والأمر ، السموات مطويات بيمينه ، والخلائق مقهورون في قبضته . وانه المنفرد بالخلق والاختراع ، المتوحد بالايجاد والإبداع ، خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم ، لا يشذ عن قبضته مقدور ، ولا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور ، ولا تحصى مقدوراته ، ولا تتناهى معلوماته .

العلم : وأنه عالم بجميع المعلومات ، محيط علمه بما يجري في تخوم الأرضين الى أعلى السموات ، لايعزب عن علمه مقدار ذرة في الأرض ولا في السماء ، بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، ويدرك حركة الذر في جو الهواء ، ويعلم السر وأخفى ، ويطلع على هواجس الضمائر ، وحركات الخواطر ، وخفيات السرائر بعلم قديم أزلي ، لم يزل موصوفاً في أزل الآزال ، لا بعلم مجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال .

الإرادة : وأنه مريد الكائنات ، مدبر الحادثات ، ولا يجري في الملك والملكوت قليل أو كثير ، صغير أو كبير ، خير أو شر ، نفع أو ضر ، إيمان أو كفر ، عرفان أو نكر ، فوز أو خسر ، زيادة أو نقصان ، طاعة أو عصيان ، كفر أو إيمان ، إلا بقضائه أو قدره ، وحكمه ومشيئته ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن . لايخرج عن مشيئته لفتة ناظر ، ولا فلتة خاطر ، بل هو المبدىء المعيد ، الفعال لما يريد ، لا رادّ لحكمه ولا معقب لقضائه ، ولا مهرب لعبد عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته ، ولا قوة على طاعته ، إلا بمحبته وإرادته ، لو اجتمع

الإنس والجن ، والملائكة والشياطين ، على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته ، عجزوا عنه . وأن إرادته قائمة بذاته ، في جملة صفاته ، لم يزل كذلك موصوفاً بها ، مريداً في أزله لوجود الأشياء في أوقاتها التي قدرها ، فوجدت في أوقاتها كما أراده في أزله ، من غير تقدم وتأخر ، بل وقعت على وفق علمه وإرادته ، من غير تبـــدل وتغيير . دبر الأمور لا بترتيب أفكار وتربص زمان ، فلذلك لم يشغله شأن عن شأن .

السمع والبصر : وأنه تعالى سميع بصير ، يسمع ويرى ، ولا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي ، ولا يغيب عن رؤيته مرئي وإن دق ، لا يحجب سمعه بعد ، ولا يدفع رؤيته ظلام ، يرى من غير حدقة وأجفان ، ويسمع من غير أصمخــــة وآذان ، كما يعلم بغير قلب ، ويبطش بغير جارحة ، ويخلق بغير آلة ، إذ لا يشبه صفاته صفات الخلق ، كما لا يشبه ذاته ذات الخلق .

الكلام : وانه متكلم ، آمر ناه ، واعد متوعد ، بكلام أزلي قديم ، قائم بذاته ، لا يشبه كلام الخلق ، فليس بصوت يحدث من انسلال هواء ، واصطكاك أجرام ، ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة ، أو تحريك لسان ، وأن القرآن والتورة والانجيل والزبور ، كتبه المنزلة على رسله ، وأن القرآن مقروء بالألسنة ، مكتوب بالمصاحف ، محفوظ في القلوب ، وأنه مع ذلك قديم ، قائم بذات الله تعالى ، لا يقبل الانفصال ، والفراق بالانتقال ، إلى القلوب والأوراق ، وأن موسى عليه السلام ، سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف . كما يرى الأبرار ذات الله تعالى من غير جوهر ولا عرض ، وإذ كانت له هذه الصفات ، كان حياً عالماً ، قادراً مريداً ، سميعاً بصيراً ، متكلماً بالحياة والعلم ، والقدرة والارادة ، والسمع والبصر والكلام ، لا بمجرد الذات .

الأفعال : وأنه لا موجود سواه إلا وهو حادث بفعله ، وفائض من عدله ،

على أحسن الوجوه وأكملها ، وأتمها وأعدلها . وأنه حكيم في أفعاله ، وعادل في أقضيته ، ولا يقاس عدله في عدل العباد ، إذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ، ولا يتصور الظلم من الله تعالى ، فانه لا يصادف لغيره ملكاً ، حتى يكون تصرفه فيه ظلماً ، فكل ما سواه من جن ، وإنس ، وشيطان ، وملك ، وسماء ، وأرض ، وحيوان ، ونبات ، وعرض ، ومدرك ، ومحسوس ، حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعاً وإنشاءً ، بعد أن لم يكن شيئاً ، إذ كان في الأزل موجوداً وحده ، ولم يكن معه غيره . فأحدث الخلق بعـــد إظهاراً لقدرته ، وتحقيقاً لما سبق من إرادته ، وحق في الأزل من كلمته ، لا لافتقاره إليه وحاجته . وأنه تعالى متفضل بالخلق والاختراع . والتكليف لا عن وجوب ، ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم ، فله الفضل والاحسان والنعمـــة والامتنان ، إذ كان قادراً على أن يصب على عباده أنواع العذاب ، ويبتليهم بضروب الآلام والأوصاب ، ولو فعل ذلك كان منه عدلاً ، ولم يكن قبيحاً ولا ظلماً . وأنه يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم والوعد ، لا بحكم الاستحقاق واللزوم ، إذ لا يجب عليه فعل ، ولا يتصور منه ظلم ، ولا يجب عليه حق . وأن حقه في الطاعات وجب على الخلق بايجابه على لسان أنبيائه ، لا بمجرد العقل ، ولكنه بعث الرسل ، وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة ، فبلغوا أمره ونهيه ، ووعده ووعيده ، فوجب على الخلق تصديقهم بما جاؤوا به .

معنى الكلمة الثانية : وهي شهادة الرسول ﷺ أنه تعالى ، بعث النبي الأمي القرشي ، محمداً ﷺ ، برسالته ، إلى كافة العرب والعجم والجن والانس .

قال : فلما بلغت إلى هذا رأيت البشاشة والتبسم في وجهه ﷺ ، إذ انتهيت إلى نعته وصفته ، فالتفت إلي ، وقال : أين الغزالي ، فاذا بالغزالي كأنه كان واقفاً على الحلقة بين يديه ، فقـال : هأنذا يارسول الله ، وتقدم وسلم على

رسول الله ﷺ ، فرد عليه الجواب ، وناوله يده العزيزة ، والغزالي يقبل يده ، ويضع خديه عليها ، تبركاً به ، وبيده العزيزة المباركة ، ثم قعد. قال: فما رأيت رسول الله ﷺ ، أكثر استبشاراً بقراءة أحد ، مثلما كان بقراءتي عليه قواعد العقائد .

ثم انتبهت من النوم ، وعلى عيني أثر الدمع ، مما رأيت من تلك الأحوال ، والمشاهدات والكرامات ، فانها كانت نعمـة جسيمة من الله تعالى ، سيما في آخر الزمان ، مع كثرة الاهواء ، فنسأل الله تعالى أن يثبتنا على عقيـدة أهل الحق ، ويحيينا ويميتنا عليها ، ويحشرنا معهم ، ومـع الأنبياء والمرسلين ، والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولائك رفيقاً ، فانه بالفضل جدير ، وعلى مايشاء قدير .

قال الشيخ الإمام أبو القاسم الإسفراييني : هذا معنى ماحكى لي أبو الفتح الساوي ، أنه رآه في المنام لأنه حكاه لي بالفارسية ، وترجمته أنا بالعربية .

وتتمة الفصل الأول من فصول قواعد العقائد ، الذي يتم بـه الاعتقاد ، لم يتفق قراءته إياه على رسول الله ﷺ ، ومن المصلحة إثباته ليكون الاعتقاد تاماً في نفسه ، غير ناقص لمن أراد تحصيله وحفظه ، بعد قوله : وإنه تعالى بعث النبي الأمي القرشي محمداً ﷺ ،برسالته إلى كافة العرب والعجم والجن والانس ، « فنسخ بشرعته الشرائع إلا ماقرر ، وفضله على سائر الانبياء وجعله سيد البشر ، ومنع كمال الإيمان بشهادة التوحيد وهو قول لا إله إلا الله ، مالم يقترن به شهادة الرسول ، وهو قول محمد رسول الله ، فألزم الخلق تصديقه ، في جميـع ما أخبر عنه من الدنيا والآخرة .

وأنه لايتقبل إيمان عبد ، حتى يوقف بما أخبر عنه بعد الموت ، وأوله سؤال منكر ونكير ، وهما شخصـان مهيبان ، هائلان ، يقعدان العبد في قبره ، سوياً ذا روح وجسد ، فيسألانه عن التوحيد ويقولان من ربك ، ومادينك

ومن نبيك ؟ وهما فتانا القبر ، وسؤالها أول فتنة القبر بعد الموت ، وأن يؤمن بعذاب القبر ، وأنه حق وحكمة ، وعدل على الجسم والروح ، على مايشاء.

ويؤمن بالميزان ذي الكفتين ، واللسان وصفته في العظم ،مثل أنه مثل طباق السموات والأرض ، توزن فيه الأعمال بقدرة الله تعالى ، والسنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل ، تحقيقاً لتمام العدل . وتطرح صحائف الحسنات في صورة حسنة ، في كفة النور فيثقل بها الميزان ، على قدر درجاتها عند الله ، بفضل الله تعالى ، وتطرح صحائف السيئات ، في كفة الظلمة ، فيخف بها الميزان بعدل الله تعالى .

وأن يؤمن بأن الصراط حق ، وهو جسر ممدود على متن جهنم ، أحد من السيف ، وأدق من الشعر ، تزل عليه أقدام الكافرين بحكم الله تعالى ، فتهوي بهم الى النار . ويثبت عليه أقدام المؤمنين ، فيساقون إلى دار القرار .

وأن يؤمن بالحوض المورود ، وهو حوض محمد ﷺ ، يشرب منـــه المؤمنون قبل دخول الجنة ، وبعد جواز الصراط ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً . عرضه مسيرة شهر ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، حوله أباريق عددها عدد نجوم السماء ، فيه ميزابان يصبان من الكوثر.

ويؤمن بيوم الحساب ، وتفاوت الخلق فيه ، إلى مناقش في الحساب ، وإلى مسامح فيه ، إلى من يدخل الجنة بغير حساب . وهم المقربون ، فيسأل من شاء من الانبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ، ويسأل المبتدعة عن السنة ، ويسأل المسلمين عن الاعمال .

ويؤمن باخراج الموحدين من النار بعـد الانتقام ، حتى لايبقـــى بجهنم موحد بفضل الله تعالى .

ويؤمن بشفاعة الانبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء ، ثم سائر المؤمنين ، كل على حسب جاهه ومنزلته ، ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيـع ، أخرج

بفضل الله تعالى ، ولا يخلد في النار مؤمن ، بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان .

وأن يعتقد فضل الصحابة وترتيبهم ، وأن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ، أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، رضي الله عنهم . وأن يحسن الظن بجميع الصحابة ، ويثني عليهم كما أثنى الله تعالى ورسوله عليه السلام وعليهم أجمعين .

فكل ذلك مما وردت به الاخبار ، وشهدت به الآثار ، فمن اعتقد جميع ذلك موقناً به ، كان من أهل الحق وعصابة السنة ، وفارق رهط الضلال والبدعة . فنسأل الله تعالى كمال اليقين ، والثبات في الدين ، لنا ولكافة المسلمين ، إنه أرحم الراحمين . وصلى الله على محمد وآله أجمعين .

* * *

ذكر كلام أبي الفرج بن الجوزي (١)

٥٩٧ هـ

محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي ، ذكر أنه ولد سنة خمسين وأربعمائة ، وتفقه على أبي المعالي الجويني ، وبرع في النظر في مدة قريبة ، وقاوم الأقران ، وتوحد وصنف الكتب الحسان في الأصول والفروع ؛ التي انفرد تحسن وضعها وترتيبها ، وتحقيق الكلام فيها ، حتى أنه صنف في حياة أستاذه الجويني ، فنظر الجويني في كتابه المسمى بالمنخول(٢) ، فقال له : « دفنتني وأنا حي ؛ هلا صبرت حتى أموت » أراد ، أن كتابك قد غطى على كتابي .

ووقع له القبول من نظام الملك ، فرسم له التدريس بمدرسته ببغداد ، فدخل بغداد سنة أربع وثمانين ، ودرس بها ، وحضره الأئمة الكبار ، كابن عقيل ، وأبي الخطاب ، وتعجبوا من كلامه ، واعتقدوه فائدة ، ونقلوا كلامه في مصنفاتهم .

ثم إنه ترك التدريس والرياسة ، ولبس الخام الغليظ ، ولازم الصوم ، وكان لا يأكل إلا من أجرة النسخ ؛ وحج وعاد .

---

(١) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي .. ابن الجوزي ولد سنة ٥١٠ وتوفي سنة ٥٩٧ هـ. والكلام من كتابه « المنتظم في تاريخ الملوك والأمم » مادة وفيات ٥٠٥ هـ .

(٢) من أجل مؤلفات الغزالي . أنظر مؤلفات الغزالي في نهاية الكتاب

ثم رحل إلى الشام ، وأقام ببيت المقـــدس ، ودمشق مدة ، يطوف المشاهد . وأخذ في تصنيف كتاب الإحياء في القدس ، ثم أتمه بدمشق ، إلا أنه وضعه على مذهب الصوفية ، وترك فيه قانون الفقه . مثل أنه ذكر في محو الجـاه ومجاهدة النفس ، أن رجلاً أراد محو جاهه ، فدخل الحمام ، فلبس ثياب غـيره ، ثم لبس ثيابه فوقها ، ثم خرج يمشي على مهل حتى لحقوه ، فأخذوهـا منه ، وسمي سارق الحمام ؛ وذكر مثل هذا على سبيل التعليم للمريدين قبيح ، لأن الفقه يحكم بقبح هذا ، فانه متى كان للحمام حافظ ، وسرق سارق قطـــع ، ثم لايحل لمسلم أن يتعرض لأمر يأثم الناس به في حقه . وذكر أن رجلاً اشترى لحماً ، فرأى نفسه تستحي من حمله إلى بيته ، فعلقه في عنقه ومشى ، وهذا في غاية القبح . ومثله كثير ليس هذا موضعه .

وقد جمعت أغلاط الكتاب وسميته (إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء)، وأشرت إلى بعض ذلك في كتابي المسمى بتلبيس إبليس ، مثل ماذكر في كتاب النكاح ، أن عائشة قالت للنبي ﷺ ، أنت الذي تزعم أنك رسول الله؟ ، وهذا محـال . وإنما كان سبب إعراضه فيما وضعه عن مقتضى الفقه ، أنه صحب الصوفية ، فرأى حالتهم الغاية ، وقال إني أخذت الطريقة من أبي علي الفارمدي وامتثلت ما كان يشير به من وظائف العبادات ، واستدامة الذكر ، إلى أن جزت تلك العقبات ، وتكلفت تلك المشاق ، وماحصلت ما كنت أطلبـــه ، ثم إنه نظر في كتاب أبي طالب المكي[1] وكلام المتصوفة القدماء ، فاجتذبه ذلك بمره ، عما يوجبه الفقه ، وذكر في كتاب الإحياء من الأحاديث الموضوعة ، وما لايصح غير قليل . وسبب ذلك قلة معرفته بالنقل ، فليته عرض تلك الأحاديث عـلى من يعرف ، وإنما نقل نقل حاطب ليل .

(١) كتاب قوت القلوب وهو من أهم كتب الصوفية .

وكان قد صنف للمستظهر[1] كتاباً في الرد على الباطنية ، وذكر في آخره مواعظ الخلفاء . فقال : روي أن سليمان بن عبد الملك ، بعث الى أبي حازم ، ابعث إليّ من إفطارك فبعث اليه نخالة مقلوة فبقي سليمان ثلاثة أيام لا يأكل ثم أفطر عليها ، وجامع زوجته ، فجاءت بعبد العزيز ، فلما بلغ ، ولد له عمر بن عبد العزيز وهذا من أقبح الأشياء لأن عمر ، ابن عم سليمان ، وهو الذي ولاه ، فقد جعله ابن ابنه ، فما هذا حديث من يعرف من النقل شيئاً ، أصلاً .

وكان بعض الناس شغف بكتاب الإحياء، فأعلمته بعيوبه ، ثم كتبته له، فأسقطت مايصلح إسقاطه وزدت مايصلح أن يزاد .

ثم إن أبا حامـــد عاد إلى وطنه ، مشتغلاً بتعبده ، فلما صارت الوزارة إلى فخر الملك ، أحضره ، وسمع كلامه ، وألزمه بالخروج إلى نيسابور ، فخرج ودرس ثم عاد الى وطنه ، واتخذ في جواره مدرسة وربـاطاً للمتصوفة ، وبنى داراً حسنة وغرس فيها بستاناً ، وتشاغل بحفظ القرآن ، وسمع الصحاح ؛ سمعت إسمعيل بن علي الموصلي[2] الواعظ ؛ يحكي عن أبي منصور الرزاز[3] ، الفقيه ، قال دخـل أبو حامد بغداد فقومنا ملبوسه ومركوبه خمسمائة دينار ، فلمـا تزهد وسافر ، وعاد إلى بغداد ، فقومنا ملبوسه خمسة عشر قيراطاً . وحدثني بعض الفقهاء عن أنو شروان وكان قد وزر للخليفة، أنه زار أبا حامد الغزالي فقال له أبو حامد: زمانك محسوب عليك ،

(١) هو العباس احمد المستظهر بالله بويع بالخلافة بعد المقتدي سنة ٤٨٧ ﻫ واستمر الى ان توفي سنة ٥١٢ .

(٢) أبو الفداء الواعظ الشافعي مات بالموصل سنة ٥٩٢ﻫ

(٣) سعيد بن محمد .. الرزاز من كبار أئمة بغداد ولد سنة ٤٦٢ تفقه على الغزالي وغيره ودرس بالنظامية . توفي سنة ٥٣٩ ﻫ

وأنت كالمستأجر ، فتوفرك على ذلك أولى من زيارتي . فخرج أنو شروان وهو يقول لا إله إلا الله ، هذا الذي كان في أول عمره يستزيدني فضل لقب في ألقابه كان يلبس الذهب والحرير ، فآل أمره إلى هذا الحال .

توفي أبو حامد يوم الاثنين ، رابع عشر جمـــادى الآخرة ، من هذه السنة ، بطوس ، ودفن بها وسأله قبيل الموت بعض أصحابه أوصني ! فقال: عليك بالاخلاص فلم يزل يكررها حتى مات .

★ ★ ★

ذكر كلام ياقوت الحموي (١)

٦٢٦ هـ

وأما الغزالي أبو حامد ، فهو الامام المشهور ، صاحب التصانيف التي مـلأت الارض طولاً وعرضاً قرأ على أبي المعالي الجويني ودرس بالنظامية بعد أبي اسحق، ونال من الدنيا أربه ثم انقطع إلى العبادة ، فحج الى بيت الله الحرام ، وقصدالشام وأقام بالبيت المقدس مدة . وقيل إنه قصد الاسكندرية وأقام بمنارتها ، ثم رجـع إلى طوس ، وانقطع إلى العبادة ، فألزمه فخر الملك بن نظـــام الملك بالتدريس بمدرسته في نيسابور ، فامتنع ، وقال أريد العبادة ، فقال لايحل لك ان تمنع المسلمين الفائدة منك ، فدرس .

ثم ترك التدريس ، ولزم منزله بطوس، حتى مات بالطابران منها ، في رابع عشر جمادى الآخرة ، سنة ٥٠٥ ودفن بظاهر الطابران ، وكان مولده سنة ٤٥٠ هـ ورثاه الأديب الأبيوردي (٢) فقال :

بكى على حجة الاسلام حين ثوى ... من كل حي عظيم القـــدر أشرفه

---

(١) من كتابه معجم البلدان مادة طوس.

(٢) الابيوردي : محـــد بن احمد ابو المظفر شاعر ونسابة ولد في ابيورد . توفي مسموماً بأصفهان سنة ٥٠٧ هـ

وما لمن يجتزي في الله عبرته — على أبي حامد لاح يعنفه
تلك الرزيئة تستهوي قوى جلدي — والطرف تسهده والدمع تنزفه
فماله خلة في الزهد منكرة — ولاله شبه في الخلق تعرفه
مضى وأعظم مفقود فجعت به — من لانظير له في الخلق يخلفه

★ ★ ★

ذكر كلام ابن خلكان (١)

٦٨١ هـ

لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله ، اشتغل في مبدأ أمره بطوس على أحمد الراذكاني ، ثم قدم نيسابور ، واختلف الى دروس إمام الحرمين أبي المعالي الجويني ، وجد في الاشتغال ، حتى تخرج في مدة قريبة ، وصار من الأعيان المشار اليهم في زمن أستاذه ، وصنف في ذلك الوقت . وكان أستاذه يتبجح به . ولم يزل ملازماً له ، الى أن توفي في التاريخ المذكور في ترجمته ، فخرج من نيسابور إلى العسكر ، ولقي الوزير ، نظام الملك ، فأكرمه وعظمه ، وبالغ في الاقبال عليه . وكان بحضرة الوزير جماعة من الأفاضل ، فجرى بينهم الجدال والمناظرة في عدة مجالس ، وظهر عليهم ، واشتهر اسمه ، وسارت بذكره الركبان ثم فوض اليه التدريس بمدرسته النظامية ببغداد ، فجاءها وباشر إلقاء الدروس بها ، وذلك في جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وأربعمائة. وأعجب به أهل العراق وارتفعت عندهم منزلته .

ثم ترك جميع ما كان عليه ، في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين واربعمائة ،وسلك طريق الزهد والانقطاع ، وقصد الحج ، فلما رجع ، توجه الى الشام ، فأقام بمدينة

(١) من كتابه «وفيات الأعيان» .

دمشق مدة ، يذاكر الدروس في زاوية الجامع في الجانب الغربي منه ،وانتقل منها الى بيت المقدس ، واجتهد في العبادة ، وزيارة المشاهد ، والمواضع المعظمة .

ثم قصد مصر ، وأقام بالاسكندرية مدة ، ويقال إنه قصد منها الركوب في البحر إلى بلاد المغرب ، علىعزم الاجتماع بالأمير يوسف بنتاشفين [1] صاحب مراكش ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى فبينما هو كذلك بلغه نعي يوسف بن تاشفين المذكور ، فصرف عزمه عن تلك الناحية .

ثم عاد الى وطنه بطوس ، واشتغل بنفسه ، وصنف الكتب المفيدة في عدة فنون منها ماهو أشهرها : كتاب الوسيط ، والبسيط ، والوجيز ، والخلاصة في الفقه ومنها إحياء علوم الدين ، وهو من أنفس الكتب وأجملها ، وله في أصول الفقه المستصفى ، فرغ من تصنيفه في سادس المحرم سنة ثلاث وخمسمائة ، وله : المنخول ، والمنتحل ، في علم الجدل ، وله تهافت الفلاسفة ، ومحك النظر ، ومعيار العلم ، والمقاصد ، والمضنون به على غير أهله ، والمقصد الاسنى في شرح اسماءالله الحسنى ، ومشكاة الانوار ، والمنقذ من الضلال ، وحقيقة القولين ، وكتبه كثيرة وكلها نافعه .

ثم ألزم بالعود إلى نيسابور ، والتدريس بها بالمدرسة النظامية ، فأجاب إلىذلك بعد تكرار المعاودات . ثم ترك ذلك وعاد الى بيته فيوطنه ،واتخذ خانقاه للصوفية ومدرسة للمشتغلين بالعلم في جواره ، ووزع أوقاته على وظائف الخير ، من ختم القرآن ، ومجالسة أهل القلوب ، والقعود للتدريس ، إلى انانتقل الى ربه.

---

(١) أبو يعقوب يوسف بن تاشفين امير المسلمين اختط مدينة مراكش بالغرب وتوفي سنة ٥٠٠ هـ .

ويروى له شعر ، فمن ذلك مانسبه اليه الحافظ أبو سعد السمعاني [1] في الذيل وهو قوله :

حلت عقارب صدغه في خده ... قمراً فجل بها عن التشبيه
ولقد عهدناه يحل ببرجها ... فمن العجائب كيف حلت فيه

ورأيت هذين البيتين في موضع آخر لغيره ، والله أعلم .

ونسب اليه العماد الاصبهاني [2] هذين البيتين وهما :

هبني صبوت كما ترون بزعمكم ... وحظيت منه بلثم خد أزهر
إني اعتزلت فلا تلوموا أنه ... أضحى يقابلني بوجه أشعر

ونسب اليه البيتين اللذين قبلهما.

وكانت ولادته سنة خمسين واربعمائة وقيل سنة إحدى وخمسين ، وتوفي يوم الاثنين ، رابع عشر جمادى الآخرة ، سنة خمس وخمسمائة ، بالطابران ، رحمه الله تعالى .

ورثاه الأديب أبو المظفر محمد الابيوردي الشاعر المشهور ، وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى بأبيات فائقة من جملتها :

مضى وأعظم مفقود فجعت به ... من لانظير له في الناس يخلفه

وتمثل الامام إسماعيل الحاكمي بعد وفاته بقول أبيتمام منجملة قصيدةمشهورة:

عجبت لصبري بعده وهو ميت ... وكنت امرأ أبكي دماً وهو غائب

---

(١) أبو سعد أو ابو سعيد عبد الكريم بن ابى محمد التميمي السمعاني المرزوي له عدد من المؤلفات اهمها : تذييل تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر الخطيب ، وكتاب الانساب توفي بمرو سنة ٥٦٢ .

(٢) ابو عبد الله محمد بن صفي الدين فقيه شافعي واديب ، من اهم مؤلفاته : البرق الشامي والجزيرة ، توفي سنة ٥٩٧

على أنها الايام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب

دفن بظاهر الطابران ، وهي قصبة طوس ، وقد تقدم الكلام على الطوسي والغزالي ، في ترجمة أخيه أحمد الزاهد ، والواعظ ، المذكور في حرف الهمزة ، والطابران بفتح الطاء المهملة ، والباء الموحدة ، وراء مهملة ، وبعد الألف الثانية نون . وهي إحدى بلدتي طوس كما تقدم في ترجمة أحمد أيضاً .

★ ★ ★

ذكر كلام الذهبي (١)

٧٤٨ هـ

الشيخ ، الإمام البحر ، حجة الاسلام ، أعجوبة الزمان ، زين الدين ، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن احمد الطوسي الشافعي الغزّال ، صاحب التصانيف ، والذكاء المفرط . تفقه ببلده أولاً ، ثم تحول الى نيسابور في مرافقة جماعة من الطلبة ، فلازم إمام الحرمين ، فبرع في الفقه في مدة قريبة ، ومهر في الكلام والجدل ، حتى صار عين الناظرين ، وأعاد للطلبة ، وشرع في التصنيف ، فما أعجب ذلك شيخه أبا المعالي ، ولكنه مظهر للتبجح به .

ثم سار أبو حامد الى المخيم السلطاني ، فأقبل عليه نظام الملك الوزير ، وسر بوجوده ، وناظر الكبار بحضرته ، فانبهر له ، وشاع أمره ، فولاه النظام تدريس نظامية بغداد ، فقدمها بعد الثمانين وأربعمائة ، وسنه نحو الثلاثين ، وأخذ في تأليف أصول الفقه ، والكلام ، والحكمة ، وأدخله سيلان ذهنه في مضايق الكلام ، ومزالّ الأقدام ، ولله سر في خلقه . وعظم جاه الرجل

(١) هو شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد التركاني الدمشقي ولد سنة ٦٧٣ هـ وتوفي سنة ٧٤٨ بدمشق اشتهر بالحديث خاصة . وله تلاميذ كثر منهم السبكي صاحب الطبقات الشافعية . ومؤلفاته عديدة . والكلام مأخوذ من كتابه « سير أعلام النبلاء » مخطوط بدار الكتب المصرية . يحققه الآن الدكتور صلاح الدين المنجد وقد اخرج منه مجلدين حتى الآن.

ومجاهدة النفس على الخشوع ؛ فإن يأتي فيها ونعمت ، ولا تترك . لخشوعٌ لمتابعة السنة خشوعٌ خيرٌ من الخشوع الحاصل مع الانفراد ؛ فتأمل ذلك ، فهو حس دقيق ، وحاصله أن السنة وإن وقعت ناقصة ، وهي الجماعة بلا خشوع ، خير من لا سنة بالكلية ، وإن وقع فيها سنة أخرى وهي الخشوع . وقد ادعى بعض محبي الخلوة ، ترك الجماعة لمثل ذلك ، وذلك عندنا أمر منكر ، بل خروجه الى الجماعة ، وإن كانت سنة ساعة ، خير له من ألف ساعة مع ترك السنة ، وان دقق مدقق وقال : لا نسلم ثبوت السنة ؛ فهو محجوج بالظواهر الدالة على طلب الجماعة على الاطلاق ، من غير فرق بين خاشع ومشتت .

السنة بعد صلاة الجمعة قال ابن الصلاح: من مفردات الغزالي أنه ذكر في «بداية الهداية» في سنة الجمعة بعدها، أن له أن يصليها ركعتين ، وأربعاً ، وستاً. فابعد في ست وشذ ؛ قال النووي: روى الشافعي بإسناده ، في كتاب علي، وابن مسعود ، عن علي رضي الله عنه ، أنه قال : من كان منكم مصلياً بعد الجمعة ؛ فليصل بعدها ست ركعات . قلت : وهذا المروي عن علي كرم الله وجهه ، محكي عن أبي موسى الأشعري ، وعطاء ، ومجاهد ، وحميد بن عبد الرحمن ، وسفيان الثوري ، ورواية عن أحمد ، وأغرب صاحب الكافي ، فقال فيه : الأفضل أن يصلي بعدها ستاً أخذاً بالأكثر ، فركعتين ، ثم أربعاً بسلام واحد . انتهى لفظ الخوارزمي في الكافي .

ذكر كلام ابن الملقن (١)

٧٩٠ هـ

محمد ، بن محمد ، بن محمد ، زين الدين ، حجة الاسلام ، أحمد الأئمة ، ولد بطوس ، سنة خمسين وأربعمائة ، سنة مات المازري ، وأبو الطيب الطبري (٢) وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس، وكان اشتغاله أولاً بطلب القوت، لما نفذ ماخلفه أبوه، قال الغزالي: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله ، ويحكى أن أباه كان يجالس المتفقهة ، و ـ ـل الله أن يرزقه ابناً فقيهاً ؛ ويجالس الوعاظ ، ويسأل الله أن يرزقه ابناً واعظاً ، فاستجيب له في محمد ، واحمد .

اشتغل على الامام (٣) وغيره ، وكان الامام ينحصر من تصانيفه « وأنه لما صنف المنخول عرضه عليه فقال دفنتني وأنا حي ، فهلا صبرت حتى أموت ، لأن كتابك غطى على كتابي . ولي تدريس النظامية ، ثم خرج عما هو فيه إلى طريق التصوف ، واستوطن دمشق عشر سنين (٤) ، وصنف الإحياء واجتمع

---

(١) هو سراج الدين ابو مصطفى عمر بن العلامة ابي الحسن علي النحوي . المتوفى سنة ٧٩٠ هـ . والكلام هنا من « طبقات الشافعية » مخطوط بدار الكتب المصرية .

(٢) ولد ابو الطيب بآمد سنة ٣٤٨ وتوفي سنة ٤٥٠ هـ وكان فقيهاً مناظراً .

(٣) يعني الجويني .

(٤) وردت في الاصل « عشرين سنين » وهو خطأ في النقل ظاهر .

بالشيخ نصر المقدسي ، ثم انتقل إلى القدس ، ثم إلى مصر والاسكندرية ، ثم عاد إلى طوس .

وكان جامعاً للفنون ، وصنف فيها ، إلا النحو فإنه لم يكن بذاك ، وإلا الحديث فإنه كان يقول أنا مزجي البضاعة منه. ثم طلب إلى تدريس نظامية نيسابور فأجاب محتسباً فيه الخير ، والافادة ، ونشر العلم ، فأقام مدة على ذلك ثم تركه ، وأقبل على لزوم داره ، وابتنى خانقاه إلى جواره ، ولزم تلاوة القرآن والاشتغال بالحديث ، فسمع البخاري ، وبعض سنن داود ، ولو طالت مدته لبرز فيه ، لكن عاجلته المنية ، فمات سنة خمس وخمسمائة ، عن خمس وخمسين سنة ، ودفن بمقبرة الطابران .

ومن مصنفاته المشهورة : البسيط والوسيط ، والوجيز ، والخلاصة ، والإحياء ، وغاية القور في دراية الدور ، والمستصفى ، والمنخول ، واللباب ، وبداية الهداية ، ومنهاج العابدين ، وكيمياء السعادة ، وتحصين المآخذ وغيرها.

وقد تكلم في الإحياء جماعة ، منهم : أبو بكر بن العربي ، والمازرى ، والطرطوشي أبو بكر محمد بن الوليد ، وقد أوضحت ترجمته في كتاب «تذكرة الأخيار بما في الوسيط من الأخبار » فسارع إليه ترشد وبالله التوفيق .

ومن شعره ماأنشده السمعاني في ذيله :

حلت عقارب صدغه في خده ، . . . . . .

. . . . (1)

وله أيضاً : انشده الأصبهاني في الخريدة :

هبني صبوت كما ترون بزعمكم . . . . . .

. . . . (2)

(1) (2) انظر الكتاب ص ٦٧

ذكر كلام العيني (1)

٨٥٥ هـ

توفي يوم العيد الأضحى من هذه السنة ، ودفن بباب حرب ببغداد ، الغزالي. أبو حامد ، محمد بن محمد ، بن أحمد ، الغزالي ، الملقب حجة الاسلام ، زين الدين ، الطوسي ، الفقيه الشافعي ، لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله .

اشتغل في مبدأ أمره بطوس على أحمد الراذكاني ، ثم قدم نيسابور ، واختلف إلى درس الامام ، وصبر في الاشتغال ، حتى تخرج في مدة قريبة ، وصار من أعيان المشار إليهم في زمن استاذه ، وصنف في ذلك الوقت ، ولم يزل ملازماً له إلى أن مات في التاريخ المذكور في ترجمته ، فخرج من نيسابور الى العسكر ، ولقي نظام الملك ، فأكرمه ، وعظمه ، وبالغ في الاقبال عليه ، وكان يحضر الوزير جماعة من الافاضل ، وجرى بينهم الجدال ، والبحث ، والمناظرة في عدة مجالس ، وظهر عليهم ، واشتهر اسمه ، وسارت باسمه الركبان ، ثم فوض إليه الوزير تدريس النظامية ببغداد ، فجاءها ، وباشر القاء الدروس بها ، وذلك في جمادى الأولى من سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، وأعجب به أهل العراق ،

(١) هو الحافظ بدر الدين ابو محمد محمود بن احمد المعروف بالعيني الحنفي ولد سنة ٧٦٢ وتوفي سنة ٨٥٥ هـ . والكلام هنا من كتابه « عقد الجمان » مخطوط بدارالكتب المصرية في مادة وفيات سنة ٥٠٥ .

وارتفعت عندهم منزلته ، ثم ترك جميع ما كان عليه في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، وسلك طريق التزهد والانقطاع ، وقصد الحج ، فلما رجع ، توجه إلى الشام ، فأقام بدمشق مدة ، يذكر الدروس في زاوية الجامع ، في الجانب الغربي منه ، انتقل منها إلى بيت المقدس ، واجتهد في العبادة ، ثم قصد مصر ، وأقام بالاسكندرية مدة ، ويقال انه قصد الركوب منها في البحر إلى بلاد المغرب ، على عزم الاجتماع بالامير يوسف بن تاشفين ، صاحب مراكش ، فبينما هو كذلك ، اذ بلغ إليه نعي يوسف المذكور ، فصرف عزمه عن تلك الناحية ، ثم عاد الى وطنه بطوس ، واشتغل بنفسه .

وصنف الكتب المفيدة في عدة فنون ، منهـا ماهو أشهرها : الوسيط والبسيط ، والوجيز ، والخلاصة ، في الفقه . ومنها احياء العلوم ، وهو من أنفس الكتب وأجلها ، وله في أصول الفقه المستصفى ، والمنخول ، والمنتحل في علم الجدل ، وله تهافت الفلاسفة ، ومحك النظر ، ومعيار العلم ، وغير ذلك .

ثم ألزم بالعود إلى نيسابور بالمدرسة النظامية ، فأجاب إلى ذلك بعد تكرار المعاودة ، ثم ترك ذلك وعاد إلى بيته في وطنه ، واتخذ خانقاه للصوفية ، ومدرسة للمشتغلين في العلم في جواره ، ووزع أوقاته على وظائف الخير ، من ختم القرآن ، ومجالسة أهل القلوب ، والقعود للتدريس ، الى أن انتقل الى ربه الكريم .

ويروى له شعر ، فمن ذلك مانسبه اليه الحافظ أبو سعد السمعاني ، في الذيل :

حلت عقارب صدغه في خـده … قمراً فجل بهـا عن التشبيه
ولقد عهدناه يحـل بروجها … فمن العجايب كيف حلت فيه

وذكر ابن الجوزى في منتظمه ، وقال : صنف الكتب الحسان في الاصول ، والفروع . . . . (1)

(1) انظر الكتاب ص ٥٠٩ - ٦١٠ .

وكان بعض الناس يشتغل بكتاب الاحياء فأعلمته بعيوبه فأصلحت مايصلح أسقاطه وزدت مايصلح أن يزاد .

وقال ابن كثير وكتاب الاحياء كتاب عجيب ، يشتمل على علوم كثيرة من الشرعيات ، وممزوجة بأشياء لطيفة من التصوف ، وأعمال القلوب . ولكن فيه أحاديث كثيرة غرايب ومنكرات ، وفيها ماهو موضوع ، كما يوجد في غيره من كتب الفروع ، التي يستدل بها على الحلال والحرام ، فالكتاب الموضوع للرقايق ، والترغيب والترهيب أسهل أمراً من غيره .

هذا وقد شنع عليه ابن الجوزي ، ثم ابن الصلاح في ذلك تشنيعاً كثيراً ، وقد كان الغزالي يقول أنا مزجى البضاعة في الحديث ، ويقال إنه مال في آخر عمره ، الى سماع الأحاديث ، والحفظ للصحيحين .

وفي المرآة (1) : وسمع حديث صحيح البخاري ، من أبي سهل محمد بن عبد الله الحفصي . وكان إماماً في الفقه مذهباً وخلافاً .

وقال ابن خلكان وكانت ولادة الغزالي في سنة خمسين وأربعمائة ، وتوفي يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة .. بالطابران ودفن بظاهرها ، وهي قصبة طوس ، وهي بفتح الطاء ، والباء الموحدة بينها ألف ساكنة وبالراء المفتوحة بعدها ألف ، وفي آخرها نون . وهي إحدى بلدتي طوس ، بضم الطاء المهملة ، وسكون الواو ، وبالسين المهملة ، وهي ناحية بخراسان ، تشتمل على مدينتين : احداهما طابران ، والأخرى نوقان ، بفتح النون ، وسكون الواو ، وفتح القاف وبعد الألف نون . ولهما مايزيد على الف قرية . والغزّالي نسبة ، على عادة أهل خوارزم وجرجان ، فانهم ينسبون الى القصار والعطّار ، فقالوا العطاري والقصّاري ، وقيل إن الزاي مخففة ، نسبة الى غزالة من قرى طوس ، قالوا وهي خلاف المشهور وأنا أقول : ينبغي أن يكون هو المشهور والله أعلم .

(1) المقصود «مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي مرت ترجمته .

وفي تاريخ بيبرس ، وقيل إنه دخل بغداد ، فقُومَ ملبوسه ، ومركوبه ، بخمسة عشر قيراطاً ، وسأله بعض أصحابه قبيل الموت ، اوصني ، فقال : عليك بالاخلاص ، ولم يزل يكررها حتى مات . وحكى أخوه أحمد ، قال : لما كان يوم الاثنين وقت الصباح ، توضأ أخي أبو حامد ، وصلى وقال : علي بأكفاني ، فأخذها ، وقبلها ، وتركها على عينيه ، وقال سمعاً وطاعة للدخول على الملك ، ثم مد رجليه ، واستقبل القبلة ، ومات قبل الاسفار ، ولبعضهم فيه شعر يذكر فضائله وبعض تصانيفه ، في الفقه والمذهب وهو شاب :

شيد المذهب حبرٌ أحس الله خَلاصه
ببسيط ووسيط ووجيز وخُلاصه

★ ★ ★

ذكر كلام الزبيدي (١)

١٢٠٥ هـ.

الحمد لله الذي أحيا بذكره قلوب عباده العارفين ، وأماط عن بواطنهم حجب الخفاء ، فقاموا لاحياء علوم الدين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد سيد الاولين والآخرين ، وصفوة الانبياء والمرسلين ، وقائد الغر المحجلين وخلاصة الله من خلقه أجمعين ، وعلى آله السادة الاكرمين ، وأصحابه الغر الميامين ،وأتباعهم بإحسان الى يوم الدين. وبعد فهذه تقريرات شريفة ، وتحريرات خفيفة ، امليتها على كتاب الاحياء للامام حجة الاسلام ابي حامد الغزالي رحمه الله تعالى حين سئلت في اقرائه . . . : . . . .
. . . . (٢)

وهذا بيان الكتب (٣) : التي منها أخذت ، وعنها بلا واسطة نقلت واستفدت .

---

(١) هو ابو الفيض محمد بن محمد المعروف بالمرتضى الزبيدي ولد في زبيد باليمن سنة ١١٤٥ وانتقل الى القاهرة وتوفي فيها . والكلام هنا من مقدمة كتابه الكبير « اتحاف السادة المتقين بشرح اسرار إحياء علوم الدين » .

(٢) لم أثبت المقدمة كلها وإنما اقتصرت على بعض المواضع التي لها علاقة بموضوع الكتاب أكثر من غيرها .

(٣) أثبت هذا الفصل لأهميته للباحث الذي يريد الرجوع الى المصادر التي اعتمد الزبيدي عليها في شرحه للاحياء .

الترتيب الزمني لمؤلفات الغزالي[1]

١ً — المرحلة الاولى (من ٤٦٥ ـ ٤٧٨ هـ) أي قبل وفاة إمام الحرمين :

١ ـ التعليقة في فروع المذهب

٢ ـ المنخول في أصول الفقه

* * *

٢ً — المرحلة الثانية (من ٤٧٨ ـ ٤٨٨ هـ) :

٣ ـ البسيط

٤ ـ الوسيط

٥ ـ الوجيز

٦ ـ خلاصة المختصر ونقاوة المعتصر ، أو الخلاصة في الفقه

٧ ـ المنتحل في علم الجدل

٨ ـ مآخذ الخلاف

٩ ـ لباب النظر

١٠ ـ تحقيق المآخذ

١١ ـ المباديء والغايات

١٢ ـ شفاء الغليل

١٣ ـ فتوى (لابن تاشفين) ـ ٤٨٤ ـ

١٤ ـ الفتوى التبزيدية

١٥ ـ غاية الغور في دراية الدور (في المسألة السريجية) ـ ٤٨٤ ـ

---

(١) أكثره مستقى من كتاب بويج.. Essai de chrono lo gie وهو يذكر هنا الكتب التي تحقق من تاريخ تأليفها ويشير الى باقي تصانيف الغزالي التي لم يتحقق من فترتها الزمنية تماماً .

١٦ ـ تهافت الفلاسفة ـ ٤٨٨ ـ

١٧ ـ مقاصد الفلاسفة ـ ٤٨٧ ـ

١٨ ـ معيار العلم « بعد التهافت » وقبل سفره إلى دمشق

١٩ ـ معيار العقول ٤٨٧ ـ ٤٨٨ ـ

٢٠ ـ محك النظر في المنطق (٤٨٧ ـ ٤٨٨) ويذكر الذهبي أنه ألفه بدمشق.

٢١ ـ ميزان العمل (٤٨٧ ـ ٤٨٨) يخالف ذلك سليمان دنيا في كتابه الحقيقة عند الغزالي ويرى أنه ألف هذا الكتاب في آخر حياته .

٢٢ ـ المستظهري ـ ٤٨٨ ـ

٢٣ ـ حجة الحق 〃

٢٤ ـ الاقتصاد في الاعتقاد ـ ٤٨٨ ـ (يخالف حنا فاخوري وخليل الجر في كتاب الفلسفة العربية فيريان انه ألفه عام ـ ٤٨٩ ـ

٢٥ ـ الرسالة القدسية في العقائد ـ ٤٨٨ ـ ٤٨٩ ـ

٢٦ ـ المعارف العقلية والأسرار الالهية ـ ٤٧٨ ـ ٤٨٩ ـ

٢٧ ـ قواعد العقائد ـ ٤٨٨ ـ ٤٨٩ ـ

* * *

٣ً ـ المرحلة الثالثة » « مرحلة العزلة (من ٤٨٨ ـ ٤٩٩)

٢٨ ـ إحياء علوم الدين بين ٤٨٩ و ٤٩٥

٢٩ ـ كتاب في مسألة كل مجتهد مصيب. كتبه في دمشق

٣٠ ـ جواب (الغزالي على مؤيد الملك بشأن دعوته للتدريس في نظامية بغداد ٤٩٤)

٣١ ـ مفصل الخلاف

٣٢ ـ جواب المسائل الأربع التي سألها الباطنية بهمذان

٣٣ ـ المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ـ بين ٤٩٠ ـ ٤٩٥ كما روى صاحبا الفلسفة العربية ـ

٣٤ ـ رسالة في رجوع أسماء الله الى ذات واحدة على رأي المعتزلة والفلاسفة

٣٥ ـ بداية الهداية (يحدد صاحبا الفلسفة العربيه وقت تأليفه بين ٤٩٠-٤٩٥)

٣٦ ـ الوجيز في صَفَر ٤٩٥

٣٧ ـ جواهر القرآن ـ ٤٩٥ ـ ٤٩٨ ـ

٣٧ ـ الأربعين في أصول الدين ـ وهو قسم من الجواهر كتبه في طوس بعد عودته

٣٩ ـ المضنون به على غير أهله ـ يرى ماسينيون ان المضنونين كتبا بين ٤٩٥ ـ ٥٠٥ ـ

٤٠ ـ المضنون الصغير

٣١ ـ كتاب الدرج المرقوم بالجداول ـ بين الجواهر والقسطاس ـ

٤٢ ـ القسطاس المستقيم ـ٤٩٧ـ

٤٣ ـ فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ٤٩٧

٤٤ ـ القانون الكلي في التأويل

٤٥ ـ كيمياء السعادة (بعد الجواهر) ـ يحدد ماسينيون وقت تأليفه بين ٤٩٠ ـ ٤٩٥ ـ

٤٦ ـ أيها الولد ـ يرى صاحبا الفلسفة العربيه أنه ألفه في نيسابور سنة ٥٠٠ـ

٤٧ ـ نصيحة الملوك ـ بعد عودته من الشام ٤٩٨ ـ ٤٩٩ ـ

٤٨ ـ زاد أخرة (فارسي)

٤٩ ـ رسالة الى أبي الفتح أحمد بن سلامة بالموصل ـ قبل ٥٠٠ ـ

٥٠ ـ الرسالة اللدنية

٥١ ـ رسالة إلى بعض أهل عصره

٥٢ ـ مشكاة الأنوار ـ قبل ٥٠٠ ـ

٥٣ ـ تفسير ياقوت التأويل

٥٤ ـ الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين ـ حوالي ٤٩٠ ـ

٥٥ ـ تلبيس إبليس ـ إن صح أنه له ـ بعد الاحياء

* * *

٤ً ـ المرحلة الثانية من التعليم ـ بين ٤٩٩ ـ ٥٠٣ ـ

٥٦ ـ المنقذ من الضلال ٥٠١ ـ ٥٠٢

٥٧ ـ في عجائب الخواص

٥٨ ـ غاية الغور

٥٩ ـ المستصفى من علم الأصول (٦ محرم ٥٠٣ في نيسابور كما روى ابن الاثير)

٦٠ ـ سر العالمين وكشف ما في الدارين

٦١ ـ الاملاء على الاحياء ـ في نيسابور ٥٠٣ ـ

* * *

٥ً ـ السنوات الأخيرة : ـ من ٥٠٣ ـ ٥٠٥ ـ

٦٢ ـ الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة

٦٣ ـ الجام العوام عن علم الكلام ـ بين ٥٠٤ ـ ٥٠٥

٦٤ ـ منهاج العابدين (يقول محي الدين بن العربي إنه لابي الحسن على المسفر السبتي) والمستشرقون ينقسمون في نسبة هذا الكتاب له الى مؤيدين في نسبته له مثل جاردنز ، وجوش ، وأسين بالاسيوس ، ودوبور ، وشاكين في هذه النسبة مثل ماسينيون [1] .

---

(١) يرى ماسينيون ان كتاب منهاج العابدين كتب بين ٤٩٢ ـ ٤٩٥ ويرى كارادوفو في كتابه رأي بويج أنه كتبه آخر حياته .

ولم يشر ماسينون الى مدارج السالكين الذي يرى صاحبا الفلسفة العربية أنه كتبه في هذه المرحلة بين ٥٠٤ ـ ٥٠٥